رحلة الوزير
في
افتكاك الأسير

obeikandl.com

رحلة الوزير
في
افتكاك الأسير

تأليف

محمد بن عبد الوهاب الغساني

وزير مولاي اسماعيل وسفيره الى كارلص الثاني

ملك اسبانيا، عام ١١٠٢ هـ ١٦٩٠—١٦٩١ م

توفي في زنقة الرطل من فاس القرويّين

عام ١١١٩

obeikandl.com

المقدمة

هذه هيَ « رحلةُ الوزير في افتكاك الأسير » نزفّها بكراً الى قرّاء العربيّة والى المعجبين بها من مستعربي الاسبان، والى محبّي البحث والتنقيب من أعلام الأمّتين.

لقد كنّا كتبنا لشهور خلت في مجلة موريتانيا بحثاً مستوفياً عن هذا الأثر التاريخي النفيس الذي كان ولا يزال مدفوناً في بطون بعض خزائن الكتب القديمة.

فطلب منّا كثير من ارباب البحث وعشّاق التاريخ ان نستخلص هذا المخطوط وننشره بنصه الكامل بعد درس وشرح وتمحيص ايضاحاً لبعض القضايا التاريخية.

فلبينا نداء الواجب الثقافي الذي يحتمه علينا معهد الجنرال فرنكو الذي أنشئ للقيام بمثل هذه الاعمال الجليلة خدمة للثقافة العالية.

وقد اعتمدنا في طبعتنا هذه على ثلاث مخطوطات: مخطوطة تطوان وقد اشرنا اليها برقم (١) واحياناً بحرف (ت) ومخطوطة بني بوزين، من قبائل الاخماس العليا في شمال المغرب واشرنا اليها برقم (٢) ومخطوطة مكتبة مدريد الاهليّة وقد اشرنا اليها بحرف (م) وكان جلّ اعتمادنا على المخطوطة رقم (٢).

وقد ذيّلنا هذه الطبعة بجداول وفهارس جغرافية وتاريخية تحتوي على اسماء المدن والقرى والاماكن والأعلام الوارد ذكرها بهذه الرحلة مع ما يقابلها باللغة الاسبانية.

وقد شرحنا الكلمات الاجنبية والدخيلة والتعابير الاعجمية التي سمعها المؤلف فرواها على علاّتها واثبتها على اعجميتها، وكذلك شرحنا الالفاظ والتعابير الوضعية المصطلح عليها في المغرب.

لغة الرحلة وأسلوب المؤلف

اما الرحلة فانشاؤها مضطرب وتعابيرها ركيكة تظهر عامية احياناً، فقد نهج المؤلف بأسلوبه نهج كتّاب الدواوين في ذلك العصر، فسار مع تيّار عقلية عصره ووضعية محيطه.

هفوات المؤلف

وقع الكاتب المؤلف في هفوات تاريخية، واغلاط هامة في تعليقه وشرحه العقائد والقضايا الدينية، فقد سطّر اموراً مشوّهة عن النصرانية وتعاليمها وعن طُرق ومذاهب الرهبانيات وقوانينها ودوّن سفسطات مضحكة نظن ان بعضها من تلاعب النسّاخ لما فيها من تحريف وتصحيف.

فقد توخينا الامانة والصدق في النشر والترجمة محافظة على قيمة اصول المخطوط التاريخية، فلم نصحح شيئاً من اغلاط المؤلف، انما اشرنا احياناً الى بعض الهفوات التاريخية الهامة، ونقحنا بعض تعابير والفاظ كان قد شوّهها وحرفها النسّاخ، كما ان

المؤلف قد خلط في ابتداء روايته عن فتح الاندلس بين طارق بن زياد الطنجي وطريف بن مالك النخعي، وذلك ايضاً ان حادثة الخلاف التي وقعت بين البابا وانريكوس الثامن ملك انكليترا وانشقاق هذا الاخير عن الكنيسة الكاثوليكية وتأسيسه للمذهب الانكليكاني البروتستانتي وزواجه من امرأة عشقها فاخذها من زوجته الاولى رغم تهديدات البابا، قد نسبها المؤلف الى ملك فرنسا، كما ذكر في شرحه لقضية تأسيس المذاهب الانجيلية، الى غير ذلك من النقاط التاريخية الهامة التي اشرنا اليها.

قيمة المخطوط التاريخية

ان لهذا المخطوط النفيس قيمته التاريخية لما فيه من صدق لهجة وامانة وسذاجة في وصف ما شاهده الوزير المؤلف من مرافق الحياة والعمران والحضارة في البلاد الاسبانية وما لاحظه من عادات ذلك الشعب ومدنيته، وما سمعه واختبره في تلك البلاد من تطور سياسة الأمم وتحويل انظمة الدول، وما لقيه من الاكرام والاحترام وحسن الضيافة، وما عمله لتوطيد الصلات وتبادل المصالح المشتركة وتأمين حسن الجوار بين اسبانيا والمغرب وابرام المعاهدات بين ملوك الدولتين العظيمتين.

فقد اتحفنا الوزير بملاحظات دقيقة واستنتاجات قيّمة ورسم لنا صورة مصغّرة طبيعية عن اسبانيا في عهد كرلوص الثاني ربما كانت من اقرب الرسوم الى الحقيقة المجنّحة وافضل ما كُتب عن اسبانيا في ذلك الزمن.

وقد بيّن المؤلف من ناحية اخرى ما كان للمغرب من عظمة ومجد وسؤدد وما كان لسلاطينه العظماء من جلال الملك والأبهة والشهرة الواسعة، وما كان عليه مولاي اسماعيل من دهاء وحزم وعظمة وبطش وقوة وسعة ملك، وما كان له من فضل عميم

وسعي مشكور في افتكاك ما بقي من اسارى المسلمين باسبانيا، وجلب كل الوسائل الفعّالة التي تؤول الى ما فيه عظمة وخير الانبراطوريّة المغربيّة.

بين رحلة الفشّاني ورحلة الغزّال

لقد خلط كثير من مؤرخي العرب والفرنج بين سفارة الفشّاني وسفارة الغزّال ورحلتهما الى اسبانيا، فقد نسبوا خطأً هذه الرحلة الى الفقيه الكاتب احمد بن المهدي الغزّال المتوفى عام ١١٩١ هـ.

فان رحلة الغزّال المعروفة بالرحلة الاسبانية كانت في عام ١٧٦٦ م، اواخر عام ١١٧٩ هـ، في عهد مولاي محمد بن عبد الله سلطان المغرب وكرلوص الثالث ملك اسبانيا.

فقد كتب حضرة البحّاثة المعروف والكاتب الاسباني القدير ضون طوماس غرسيا فيكيراس بحثاً قيماً حول هذه الرحلة وزيارة الغزّال لمدينة شريش (١).

امارحلة الوزير في افتكاك الأسير فكانت في عهد مولاي اسماعيل وكرلوص الثاني عام ١١٠٢ هـ ١٦٩٠ ١٦٩١ م، فكانت ولا تزال مطمح انظار البحّاثة.

فالمستعرب الفرنسي المسيو سوفير نقل الى لغته سنة ١٨٨٤ ترجمة مختصرة لهذه الرحلة تحت عنوان: (رحلة سفير مغربي الى اسبانيا) (٢) وقد اعتمد على مخطوطة مكتبة مدريد الاهلية رقم ٥٣٠٤ (مبتورة الاوّل) وعلى مخطوطة

---

(1) Embajada de El Gazzal (1766) Nuevos datos para su estudio.–Tomás García Figueras.–Larache, Casa de Miguel Boscá Mata (1998).

(2) Voyage en Espagne d'un Ambassadeur marocain. Par M. H. Sauvaire. Paris, 1884.

المستعرب الاسباني السنيور كاينكوس التي هي نسخة عن الاولى. وقد ذكر في توطئته ان صاحب الرحلة لا يزال مجهولاً (١).

كما ان تعليق مكتبة مدريد الاهليَة على هذه الرحلة لايخلو من الخطأ الفاضح. فقد سُجِّلت المخطوطة تحت عنوان: رحلة سفير الى اسبانيا، بعثه مولاي اسماعيل الى كرلوص الثاني سنة ١٦٨٠ ٢٦٨٢ (٢).

فحقيقة تاريخ الرحلة اوائل عام ١١٠٢ هـ، موافق ١٦٩٠ — ١٦٩١. فانَ الحوادث الهامة التي ذكرها المؤلف والاحداث التي حدثت وهو في اسبانيا وقعت بين عامي ١٦٩٠ و ١٦٩١ م ١١٠٢ هـ: كوفاة البابا اسكندر الثامن سنة ١٦٩١ وانتخاب البابا انوسنسيوس الثاني عشر النابولي سنة ١٦٩١ واستلاء الفرنسيون على مدينة مونص سنة ١٦٩١ واسترجاع الاتراك مدينة بلغراد ١٦٩٠ الى غير ذلك من الحوادث والاحداث التاريخيَة الهامة التي تثبت تاريخ الرحلة التي وضعناه تأييداً للتاريخ الذي وضعه المؤلف والذي ردد ذكره في رحلته عدة مرّات.

كما ان المستشرق المعروف والبحّاثة القدير السيد درنبورغ لم يتعرّض في كتابه (٣) «تعاليق نقديَة على المخطوطات العربيَة مكتبة مدريد الاهليَة» الى رحلة الغساني انما تكلّم مطولاً عن رحلة الفقيه احمد بن المهدي الغزّال؟...

---

(1) Son nom nous est inconnu.

(2) Manuscritos Arabes de la Biblioteca Nacional de Madrid: Manuscrito 5.304.

Viaje a España de un Embajador enviado por Muley Ismael a Carlos II, y observaciones que hace en todo lo que vió.

4º papel; 108 folios; foliación castellana; magrebí; algunas mociones; al principio un folio en blanco y en el siguiente el antedicho título en castellano, que debajo lleva esta nota: «Esta Embajada se hizo por los años 1680 a 1682.»

Catálogo de la Biblioteca Nacional de Madrid.

(3) Notes critiques sur les Manuscrits arabes de la Bibliothèque Nationale de Madrid. Hartwig Derenbourg. Paris, 1904.

وقد كتب ايضاً البحّاثة الفرنسي المسيو هنري بيرس درساً قيماً وبحثاً هاماً حول سفارة الغسّاني ومهمته في اسبانيا، في كتابه المعنون. «اسبانيا بنظر الرحّالة المسلمين من سنة ١٦١٠ الى ١٩٣٠» (١).

فقد اعطانا في بحثه فكرة عامة وصورة مجملة عن قيمة الرحلة التاريخية وعن نباهة الوزير وما كان عليه من حسن الشعور والفطنة والانتباه الحسّاس والملاحظات الدقيقة التي رافقته في جميع اسفاره. غير أن البحّاثة الفاضل قد سجّل بعض نقاط وتعاليق مشوّهة، لو انه طالع بامعان الاصل العربي لكان تجنب السرعة في احكامه واظهر نقده المخلص، كتأييده لمتانة وقوة انشاء الوزير، الى غير ذلك. . . فاننا نعتقد انه لم يطلع على النصوص العربية الاصلية بل اكتفى بالترجمة التي وضعها بالفرنسية المسيو سوفير وتعاليق غيره من البحّاثة والكتبة.

ثم ان الكاتب يتسأل: ؟ ما حلّ بالاسارى المسلمين بعد مجيء السفير الى المغرب ؟هل اصحبهم معه ام تركهم يأتون لحالهم؟ ام التزم الاسبان نقلهم الى سبتة او الى احد الشواطيء المغربية؟ هذا ما ستجيبنا عليه الايام المقبلة المتأثرة بقوة تنقيب الباحثين المرتبطة بين طي التاريخ ونشره.

غير أن لدينا بعض الظهائر الاسماعيلية تفتح امامنا كوّة من نور ننظر منها الى هذه العقدة التي تكتنفها غيوم متلبدة تارة تنقشع عنها فيظهر ضوء بعيد يحاول ان يسلط اشعته الضعيفة لانارة شبح السبيل المؤدي الى باب الحقيقة، وطوراً تتجمع متلبدة فتمنعنا من تميزها تماماً وصدق الحكم عليها.

---

(١) L'ESPAGNE vue par les Voyageurs Musulmans de 1610 à 1930.-Henri Pérès. Paris, 1937.

غير اننا نعتقد ببقاء الاسارى في اسبانيا بعد مجيء السفير الى المغرب حسب ما تفيد بعض الظهائر، وهذا ايضاً من الاسباب التي اوجبت تأليف سفارات اخرى بعد سفارة الغسّاني.

اما اشارة الغسّاني الى مكتبة الاسكوريال وقوله ان معظم كتبها جُلبت من أشبيلية وقُرطبة، لا يعني انه كان جاهلاً بحقيقة قضية مكتب مولاي زيدان كما ذكر البحّاثة الفاضل.

فان كتباً كثيرة نقلت من قرطبة واشبيلية الى العاصمة، فكان للاسكوريال النصيب الاوفر منها. واننا لا ننكر ان أُسس مكتبة الاسكوريال العربية وقوامها وشهرتها الواسعة هي كتب مكتبة مولاي زيدان (١) التي حُجزت في البحر سنة ١٦١٢ م ثم جُلبت الى مدريد في عهد فيليب الثالث.

فان اهمال الوزير لهذه الحقيقة وتسليمه بحادثة حرق الكتب عائدة الى بعض اسباب تجنّب الوزير ذكرها...

ونحن بدورنا لا نسلّم بان سفارة الغسّاني ومهمته الدبلوماسية وسبب رحلته الى اسبانيا كان غايتها افتكاك الاسارى وجلب الكتب فقط، بل كان هناك بعض الأُمور الخطيرة لم يشر اليها الوزير رغم ما ذكره في مقدمته. فانه رجع الى وطنه والحكومة الاسبانية تفتش عن الاسارى؟...

وبينما نحن في معترك البحث وميدان الدرس فوق مائدة التشريح في المختبر العقلي نحلل مقاييس ومقادير عقدة هذه القضية، فاذا بالوزير المؤرخ يتقدم الينا بمجموعة

---

(١) مولاي زيدان ١٠١٢—١٠٣٧ هـ ١٦٠٣—١٦٢٨ م.

تاريخية كلها عبر، فترك لنا ملاحظات دقيقة ودروساً قيمة في حياة الأمم الاجتماعية والتاريخية ولم يهمل الاقتصادية والدينية منها، وقد رسم لنا بريشته الساذجة البريئة الطبيعية لوحة رمزية لها تشبحاتها الغامضة وتموجاتها الساحرة وقيمتها الفكرية في عالم البحث والتنقيب والتفكير.

وتتميماً لفائدة بحثنا التاريخي قد الحقنا بهذه المقدمة ترجمة مختصرة لحياة مولاي اسماعيل ولوزيره وسفيره الفسّاني صاحب الرحلة.

ولنا ملء الأمل ان تُؤخذ اعمالنا هذه بعين الانصاف والتشجيع.

والله الموفق.

الصواب ولوحده العصمة وهو حسبنا.

ونعم الوكيل

مدريد — تطوان في ٣ نونبر سنة ١٩٣٩.

الفريد البستاني

oberkanal.com

مولاي اسماعيل

١٠٨٢ — ١١٣٩ - هـ ١٦٧٢ — ١٧٢٧ م

هو الشريف العلوي، السلطان المظفر، الفاتح البطّاش، الاداري الحازم، المستبد العادل ابو النصر مولاي اسماعيل.

بُويع بالملك ليلة الاربعاء السادس عشر من ذي الحجة سنة اثنتين وثمانين والف، وقد حضر على بيعته اعيان المغرب وصلحاؤه وكانت سنه ستاً وعشرين.

فنهض باعباء الملك وضبط الأمور بشدة وحزم فتمهدت له البلاد ودان له قريبها وبعيدها واخمد ثورة مراكش التي قام بها ولد اخيه احمد بن محرزه وكان قد شقّ عليه ايضاً عصا الطاعة اهل فاس وامتنعوا عن المبايعة فحاصرهم مدة خمسة عشر شهراً الى ان اتوه مذعنين في التاسع عشر من رجب عام ١٠٨٤ هـ ١٦٧٣ م، فلما دانت له البلاد المغربية من اقصاها الى اقصاها بعد معارك وحروب طويلة واستتب الأمن في الداخل واجبر الانكليز على الانسحاب من طنجة سنة ١٦٨٤ واسترجع العرائش من الاسبان سنة ١٦٨٩ وضرب الحصار على سبتة، فكّر في الفتوحات الخارجية:

فاستولى على تخوم السودان وبلغ فيها الى ما وراء النيل، فانتشرت دولته وامتدت مملكته من جهة الشرق الى قرب بلاد بسكرة ونواحي تلمسان.

فهابته دول اوروبا وتسابق ملوكها وسلاطينها الى خطاب وده والتقرب اليه، فبادلهم الولاء وابرام معاهدات الصداقة وارسال السفراء.

وكان اقربهم اليه : الدولة الاسبانية فبعث الى ملكها كرلوص الثاني وزيره محمد بن عبد الوهاب الغسّاني الاندلسي .

الوزير محمد بن عبد الوهاب الغسّاني الاندلسي الفاسي

توفي عام ١١١٩ هـ

قال : القادري في نشر المثاني : هو الكاتب الارفع ابو عبد الله محمد المدعو حمو بن عبد الوهاب الوزير الغسّاني الاندلسي الفاسي .

كتب للسلطان مولانا اسماعيل وكان نجيباً في ذلك، ذكر انه كان كل ما يلقى من الأوامر يكتبها ويستوفيها ولا يغرب عليه شيئ منها مع كثرتها، وقد ارسله مولانا السلطان الى بلاد الروم بالاندلس بقصد ان يستخرج ما بايديهم من اسارى المسلمين ويستخرج ما بقي من الكتب بالمشاهد التي كانت للمسلمين، والف في رحلته تلك كتابا أسماه :

رحلة الوزير في افتكاك الأسير

وقد ترجم له ايضاً سيدي محمد بن جعفر الكتّاني في سلوة الانفاس بمثل ما ترجم له القادري وزاد عليه : ووصفه بالفقيه المتفنن الدرّاك المتقن .

وقال : كانت له سرعة في نسخ الكتب لا تعرف لغيره .

وابدل لفظة المشاهد بالمساجد المهجورة .

ثم قال : توفي من مرض بدارهم الكائنة بزنقة الرطل من فاس القرويين عام تسعة عشر ومائة والف .

مقدمة المؤلف

الحمد لله الذي جعل نزهة العقول والافكار، في التنزه في روضات التواريخ والأخبار، ووسّع صدور الاختيار، لجولان الاقاليم والاقطار، وزيّن قلائد البلدان بجواهر الامصار، نحمده سبحانه على ما اطلعنا من حكم الاسفار، ما يملأ الدفاتر والاسفار، ونشكره تعالى ان اختص الجولان باسرار البدائع وبدائع الاسرار، ونصلي ونسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد اشرف من اظلت السماء واقلت البسيطة، الحائز مديد الشرف وكامله، ووافره وبسيطه، وعلى آله الاطهار وصحابته الاخيار.

اما بعد:

فانه لما كان سيدنا السلطان الامام، المظفر الهمام، ذو الشيم التي آنست مآثر الاوائل والاواخر، والمزايا التي فاضت على الانام فيضان البحور الزواخر، والهمة التي لا تزل تراقب المعالي، وتصرفه الكلية لحماية البلاد والعباد والدين والدنيا بالبيض المحامي والسمر العوالي، وتحمي بيضة الاسلام، وتحيي سنة جده عليه الصلاة والسلام، الماجد الاصيل الفطريف، ظل العدل الوريف، ابو النصر مولانا اسماعيل ابن مولانا الشريف ادام الله نصره واعلى قصره واغلى مصره مغرماً باحياء السنن وجارياً في اقامتها على اوضح السنن، وكانت همته مصروفة لفكاك الاسارى، لاستخراجهم بيد من كانوا في يده من النصارى، ليغتنم ثواب فكاك الاسير ويفوز بما ورد في ذلك عن الرسول

البشير. وكنت ممن امنّ الله عليه لخدمة بابه، وتفضل عليه بالانحياز لجنابه، وجهني ادام الله علاه لبلاد الروم لآتيه بمن هنالك من اسارى الاسلام، وابحث في الخزائن الاندلسية عما ابقاه المسلمون هنالك من كتب الاحكام، ليكون لي معه دام مجده كفل من الثواب، وما هي باول بركة نالتنا من ذلكم الجناب. فتوجهت مستعيناً بالله تعالى الى هاتيك الاقطار بأذنه الشريف وامره، مستظلاً بظل جلالته وفخره، ورأيت هنالك من العجب العجاب، ما يسحر العقول ويبهر الالباب، فجمعت بعض ذلك في هذه الرقاع، لئلا تمتد عليه يد الضياع، ورسمته مخافة النسيان، ورجاء ان يستفيد من يطلع عليه من الاخوان، مستمداً من الله العون والمنة انه ذو الفضل (١) والكرم والاحسان والجود والمنة.

---

(١) وفي مخطوطة ٢ : التفضل

openkandl.com

الخبر عن مرسى جبل طارق

وهو الجبل المسمى بجبل الفتح اذ كان منه مبدئ فتح العدوة الاندلسية لما عبر طارق رحمه الله اليها وذلك كان بعد ما وجه موسى بن نصير رحمه الله الى العدوة سرايا بامر اميره الوليد بن عبد الملك، وذلك حين كان موسى عاملا للوليد على افريقية وطارق عامل موسى على طنجة وكانت وقعت بين (يليان) والي ما يلي البحر من العدوة وبين موسى مداخل ومراسلة يدعوه فيها الى العبور والدخول الى الجزيرة، فكتب موسى للوليد يخبره بذلك فقال له: اختبرها بالسرايا، فاختبرها ببعث طارق المذكور، فغزى واصاب مالاً وسبياً ورجع الى البلاد البربرية، فلما دخلوا في الاسلام بعد غزو شنيع وسبي ذريع تدرج الغزو الى كفار الاندلس وحين رجعت هذه السرية سالمة غانمة عمل موسى على اجازة سرية اخرى في العام الذي بعده. قيل: ولما دعي يليان موسى الى الاندلس ذكروا ان موسى نهض الى امير المؤمنين الوليد بن عبد الملك فاعلمه بذلك فمنعه وقال له: لا تغرر بالمسلمين، فقال له: ياامير المؤمنين انما ارسل عبدي طارقاً مع البربر فان اصابوا فلنا وان أصيبوا فليس علينا منهم شيء. فامره بالنهوض الى ذلك، وكان قد (١) قام يليان بابتته من قصر لذريق الى سبتة وموسى بافريقية، فقدم عليه ووصف له حال الاندلس وطيبها وقرب مراحاها وهوّن عليه رجالها وقرّب حالها

(١) وفي مخطوطة ا: وبعد ذلك قام.

فقال له موسى: اصدقك في نصيحتك الا انه ليس في نفسي شيء بسبب الدين فأخذ يليان معه الرجال مع طريف (١) واغاربهم على البلد وانصرفوا غانمين سالمين فاطمئن موسى وانتظر في ارسال طارق ومعه البربر، فعبر طارق اليها من ناحية سبتة ونزل بالقرب من هذا الجبل في جزيرة صغيرة تقابل المدينة التي في سفحه وهي جزيرة صغيرة بقدر ميل واحد طولاً وعرضاً يمدها واد كبير ينحدر من جبال الرندة واحوازها وهي جبال كثيرة شاهقة تقابل من البلاد البربرية جبال الغمص والهبط وغيرها، وباسم هذه الجزيرة الصغيرة تسمى هذه العدوة جزيرة، والا فبلاد العدوة ليست بجزيرة لاتصال برها وامتداده الى البلاد التركية وغيرها من بلاد الكفرة مثل فلا نضس وبلاد الايطالية والالمانية. وليس بهذه الجزيرة المذكورة اليوم عمارة ولا بناء. ومرسى جبل طارق هي مرسى كبيرة واسعة الجون وعلى بابها حصن منيع مبني احسن بناء وبه من العدة والمدافع ما شحنه، اذ هو موضع مبيت الفرس واهل الحرس وهو مطل على المرسى جميعها وقد امتد صور (٢) مع سفح الجبل مار من الحصن الى المدينة بقدر ميل على شفير البحر الى ان ينتهي الى المدينة. والمدينة تصل المراكب اليها، وهي مدينة متوسطة الى الصغر اقرب واكثر عمارها الشلاظا (٣) ومن في معناهم وليس بها كبير تجارة ولا عمارة مثل الحواضر التي تقصد السكنى حيث كانت طرفا، وفي مقابلة بر الاسلام، ومنها تمتد سبتة بافوات سكناها وعمارها لقرب المسافة اذ ليس اقرب منها في جميع بلاد العدوة وقدر ما بينها في البحر خمسة عشر ميلاً. واكثر حرس هذه العدوة وانتباههم هو ساحل جبل الفتح هذا من البلاد البربرية اذ ليس لهم تخوّف واحتراز الا منها، لما

---

(١) وفي مخطوطة ٢ : طريف وهو الاصح

(٢) وفي مخطوطة ٢ : سور

(٣) لفظة اسبانية معناها : الجند (3) Soldados

تدارسوه في تواريخهم وتقرر لديهم انه قط ما عبر احد الى العدوة في البحر الاّ من الناحية البربرية، ولم تفتح العدوة اولاً ولا عبر اليها بعد ذلك من عبر في ازمنة من عبر اليها من ملوك مغربنا رحمهم الله الاّ من مقابلة جبل الفتح ومقابلة طريق(١).

وسبب تسمية هذه المدينة بطريق هو انه لما كان موسى بن نصير رحمه الله عاملاً على افريقية للوليد بن عبد الملك وطارق كان عاملا لموسى في طنجة وحين دخل يليان الخليج من الجزيرة الخضراء كتب موسى بذلك الى الوليد فكتب اليه الوليد ان اختبرها بالسرايا ولا تغرر بالمسلمين في بلاد شديدة الاهوال. فكتب اليه موسى يقول انه ليس بهذه البلاد خليج. فكتب اليه الوليد: اختبرها بالسرايا ان كان الامر كما ذكرت. فجهز موسى رجلاً من البربر مواليه يسمى طارقاً ويكنى ابا زرعة في مائة فارس واربعمائة راجل فجاز في اربعة مراكب حتى نزل في ساحل البحر بالاندلس في الموضع المعروف اليوم بجزيرة طريف سميت بذلك لنزوله هنالك فاغار منها على ما يليها الى جهة الخضراء واصاب سبياً ومالاً كثيرا ورجع سالما. والذي يقابل جبل الفتح من بلادنا هو جبل (باليونش) ويعرف بجبل موسى ويسمى هذا الجبل باليونش باسم مدينة كانت به قديماً وقد بقي بها اثر الجدران والحيطان واشجارها باقية الى الآن تدل على مكانتها، وهي في غرب سبتة ومقدار ما بينهما نحو ميلين وفي غرب باليونش عيون مياه عذبة تعرف قديماً بعين الحياة، زعموا انها عين الحياة التي شرب منها الخضر عليه السلام، وبازاء تلك العيون صخرة يزعم بعض اهل التواريخ ان عند تلك الصخرة نسي فتى موسى الحوت، والذي يقابل طريف هو القصر الصغير الذي في حدود بلاد (انجرى) وهو اقرب من غيره في جميع البوغاز لكون مقدار ما بينهما ثمانية اميال وقع هذا، فالعمران من هذه النواحي ليس هو على قدر توقع الكفرة وتخوفهم اذ ما بين مدينة

---

(١) وفي مخطوطة ٢ : طريف وهو الاصح

جبل الفتح ومدينة طريف هو خلاء لا عمارة به وفيما بينهما مدينة فسيحة شسعة الارجاء.

وكان وصولنا الى هذه المرسى عشية يوم الاربعاء او اسط محرّم فاتتح اثنين بعد مائتو الف ١١٠٢ وهو يوم ركوبنا البحر من قصبة (افراك) المطلة على سبتة اعادها الله دار الاسلام، فوجدنا بالمرسى مركباً مهيئاً مشحوناً بالاقامة (والشلظاظ) وما يستحقه من الآلات وكان وجّه بذلك الدوكي القاطن بمدينة سان لوكار بامر عظيمه وهو الذي ينتهي اليه امر تلك (الكوشطة) (١) كلها وهو من اعيان اكابرهم اذ لا يتولى عندهم امر الكوشطة الموالية لبرنا الاّ من له اصالة في الكبيرة ومن له لقب الدوكي او الكندي لا غير.

وكان هذا المركب لما ان وجه به الدوكي المذكور على يد حاكم قالص ارسى في سبتة اعادها الله للاسلام.

فلما تحرك الريح الشرقي الذي لا يمكن معه بتاؤهم في قرب سبتة ولا في حوزها رجعوا به الى مرسى جبل الفتح وقاموا هنالك ينتظرون الريح الذي يمكنهم فيه الرجوع الى مرسى سبتة للاقتنا، وكان معهم ولد القبطان واعلمونا بانتظارهم لورود المراكب التي في جبل الفتح، قلنا لهم امّا ان توجهوا اليها واما ان نعبر نحن البوغاز في مراكب صغار لسرعتها في العبور وخفتها وشدة جريها. فاعدّوا لنا ثلاث مراكب صغار وهيؤها وشحنوها بالشلظاظ والمدافع التي تحميها وركبنا فيها وسرنا فيها بحفظ الله ووكالته نصف يوم الى ان دخلنا المرسى المذكورة وانتقلنا من المراكب الصغار الى المركب المعدّ لنا هنا لك وتقدمنا الى مدينة قرب جبل الفتح وبتنا بالمركب.

ولما انتصف الليل هاج علينا البحر واشتد هيجانه وتلاطمت امواجه والمركب

---

(١) لفظة اسبانية معناها: الشاطئ (1) Costa

يتقلب يميناً وشمالاً ويتمرغ كما تتمرغ الدابة الى ان دخلنا الفزع والرعب، وبقي الحال كذلك الى ان طلع الفجر، واهوال البحر لا تحصى ولا تحصر والشيء يسمع فيحقر حتى يبصر، فرحم الله القائل:

هو البحر حدث عنه غير مكذب فما تنقضي آياته وعجائبه

فاستأذننا رئيس السفينة ان يرجع بنا الى باب المرسى من حيث دخلنا اذ هو موضع متنكب عن الرياح والبحر فيه كأنه بركة ماء، وحيث سكن هائجه وركد مائجه ارسينا تحت الحصن وفي ظل جبل الفتح وقمنا هنالك ثمانية ايام ننتظر هبوب الهواء الشرقي الذي يمكننا فيه السفر الى (قالص) حيث كان قصدنا، وفيه استعد النصارى للملاقات وجمعوا جموعهم. وفي مدة مقامنا بالمرسى المذكور كان قائد البلد يختلف الينا ويتعاهدنا كل يوم بالفواكه الرطبة واليابسة ويعتذر عن تقصيره، الى ان استنشق بعض اصحابنا هبوب الريح الشرقي نصف ليلة الاربعاء الثامنة من حلولنا المرسى المذكورة، وكان الصاحب المشار اليه عارفاً باحوال البحر لتعدد سفره فيه، ورئيس المركب اذ ذاك مستغرق في نومه فنبهناه واعلمناه بهبوب الهواء فارتحلنا من ساعتنا وخرجنا من موضعنا ذلك. وحين مطلع الفجر قابلنا مدينة (طريف) وهي مدينة متوسطة على شفير البحر في بسيط من الارض وقد سميت باسم نازلها طريف (١) كما تقدم، ويقابلها من بلادنا القصر الصغير المتقدم الذكر، ولم نزل نصف ذلك اليوم سائرين الى وقت حلول صلاة الظهر فرأينا اذ ذاك مدينة قالص وهي مدينة كبيرة في جزيرة على البحر ولها طريق ممتدة الى البر. والبحر يدور بها من نحو سبعة اثمانها، ولها مرسى كبيرة لا تقدر لسعتها وبها من المراكب الكبار (٢) والصغار ما لا يحصى.

---

(١) قد خلط المؤلف بين طارق وطريف

(٢) وفي مخطوطة ٢: الكبيرة والصغيرة

وحيث كانت مدينة كبيرة يقصدها المسافرون والتجار من كل صوب وينتابها لون عليها من كل ريح وترد عليها النصارى من كل دشرة (١) او مدينة (٢) تجاورها او تقرب اليها بقصد البيع والشراء والنفقة والخدمة، ويجتمع من المراكب الصغار التي تجلب اليها المدد والاقوات والفواكه وغير ذلك العدد الذي لا يحصى. فما تطلع الشمس الا والزوارق تحفو بقوائم غربان وتعدو بسوالف غزلان تخالها في سمائه اهلة مكشوفة وتحسبها فوق مائه جريدة دهم مصفوفة، فسبحان المالك الخلاق المقدر الارزاق.

ولما رأى حاكم البلد ذلك اليوم هبوب الريح الذي يقدمنا عليهم استعدوا للملاقات استعداداً كثيراً وتأهبوا تأهباً (٣) كبيراً وجمعوا الشلظا والخويلة التي عندهم وعمروا مدافعهم البحرية والبرية وخرجوا الى البحر ينتظرون ورودنا، ولما قربنا الى المدينة بمقدار ميلين ورد علينا قبطان في مركب للحاكم وقد زينه بانواع الفرش والحرير والديباج وقد علق على المركب صنجقاً من صناجق الطاغية وصعد الى السفينة واذى سلام كبيره واعتذر على لسانه بتهيئه الملاقات، فانحدرنا من المركب الكبير الى الزوارق وقصدنا المدينة، فوجدنا حاكم المدينة واقفا على طرف الموج وقد برز معه جميع من بالمدينة رجالاً ونساء وصبياناً، ولم يدع بالمدينة صاحب لهو وطرب الا وقد احضره، ولم يترك باسوار المدينة ولا بالمراكب الكبار مدفعاً الا وقد اخرجه، ولقينا الحاكم المذكور احسن ملاقات وفرح بنا اتم فرح، ولقينا من بمدينة قالص من الاسارى رجالا ونساء وصبياناً وهم يفرحون ويعلنون بالشهادة ويصلون على النبي صل الله عليه وسلم ويدعون بالنصر لسيدنا المنصور بالله، فذكرناهم ووعدناهم بالخير من ان سيدنا

---

(١) الدشرة والمدشر: بلغة عامة المغرب هي القرية

(٢) وفي مخطوطة ١: ومدينة

(٣) وفي مخطوطة ٢: تأهيباً

نصره الله غير تاركهم ما دام فضل الله عليه، فكان عندهم ذلك اليوم يوم عيد لاستبشارهم بالفرح من الله تعالى على يد المولى المنصور بالله لا سيما وقد تقرر لديهم ان سيدنا نصره الله لم يكن له قصد ولانية في جمعه لسائر النصارى الذين في ربقة الاسر الا لاجل فكاك المسلمين من يد العدو الكافر دمره الله. فاستبشروا بالباك المصروف اليهم من الملك ابقاه الله تعالى وادام وجوده، ثم دخل بنا الحاكم المذكور المدينة وقعد بنا دار كبيرة اعدها لنزولنا وقد احضر انواع الاقامة على اختلافها ولم يزل يتعاهدنا هو ومن معه من اعيان البلد ذلك اليوم والليل كله الى الغد ثم بدأ يستفهمنا عن غرضنا في السفر وهل لنا أرب في المقام عنده والاستراحة بعض الايام؟ فقلنا له لا يمكننا المقام بموضع من المواضع مالم نصل البلاد التي نحن قاصدون اليها والطاغية الذي توجهنا اليه، فقال: ان ذلك هو مراد سيدنا وعظيمنا وهو مستبشر بقدومكم ومنتظر وصولكم اليه عاجلاً. فاتفقنا على الرحيل من الغد واتانا بكدشين(١) وخرج بنا الى المدينة فأرانا اياها حومة حومة، فاذا هي مدينة كبيرة عامرة واسواقها مشحونة بالتجار واهل الحرف والبيع والشراء واذا المدينة لا سور لها الا من جهة المرسى ومن الجهات الاخرى سورها البحر لقصره ولعدم دخول المراكب اليه لما فيه من الحجر وقصر البحر. ومن الغد اصبح الحاكم المذكور ومن معه في تهيئة رحيلنا وقد برز ايضاً على العادة جميع من بالمدينة من الشلاظا والخويلة وسائر الناس لتشييعنا بعد ان قدم الحاكم الذي بمدينة (سانتا مرية) (٢) بعض اصحابه مخبراً بورودنا عليها ليعدوا موضع النزول من صبيحة اليوم الذي خرجنا من قالمر. وبينما نحن في تهيئة الرحيل اذ دخل علينا قسيس من قسوس

---

(١) لفظة اسبانية معناها: العربة (1) Coche

(٢) وفي مخطوطة ١: سنتا ماريّا

النصارى تربيّ في بلاد القسنطينية (١) واخبرنا بالفتح الذي منّ الله به على جيش المسلمين وانّ السلطان سليمان امدّه الله تعالى بمعونته استخلص مدينة (بير الاغراص) وعمالتها وما حولها، وهو معتن بما هدّ من حيطانها ومشتغل باصلاح ما خرب من اسوارها، وقد جعل بها من العملة لاصلاحها وخدمة البنيان اثنا عشر الفاً، واستبشرنا اذ ذاك بما خوّل الله تعالى من نصر المسلمين، وكان النصارى يرون له بفتحه تلك المدينة واسترجاعها قوة ويداً ويذكرونه احسن الذكر، وخرجنا الى البحر فوجدنا المركب الذي انحدرنا من السفينة اليه على حالته الاولى فركبناه في حفظ الله تعالى وقصدنا مدينة (سانتا مريّة) في البحر وقدر ما بينهما ستة اميال فما كان الاّ اسرع من مرور ساعة زمانية وقد اشرفنا على بر المدينة المذكورة فوجدنا بها سريّة من الخيل تنيف على المائة وقد برزت لملاقاتنا واظهروا من الفرح والسرور ما اظهروا، وحين ارسينا على مدينة (سانتا مرية) وجدنا بساحل بحرها خلقاً كثيراً من الرجال والنساء وقد برزا حاكمها وقاضيها الملاقات ومعهما كدشان لركوبنا وحين التقينا بهما عملا من الصواب وحسن الملاقات ما لا ينكر لهما، فدخلنا المدينة وطفنا بها جميع ازقتها وديارها واسواقها واذا هي مدينة كبيرة واسعة رحبة الفناء فسيحة الارجاء وازقتها مفروشة بالحجارة وهي من حواضر العدوة ومن المقصودين في السبب والتجارة، ومع هذا فلا سورلها حاجز بين المدينة وبين البحر وكذلك ما يلي البر منها، وبطرفها من جهة البحر دار كبيرة وقد سدوا بابها الذي يدخل اليها منه وهي الدار الذي نزلها السلطان الشيخ ابن السلطان احمد الذهبي الداخل الى اسبانيا، فلا يعمرها احد ولا يسكنها. اذ عوائد النصارى ان يحترموا الدار التي كان قد نزلها ملك من الملوك ويبنوا بابها فلا يسكنها احد، وبناء بابها علامة ذلك عليها كما فعلوا بمدريد في دار هي اليوم غير معمورة من عهد كرلوص كينطو

(١) هكذا في الاصل وفي مخطوطة ٢ : قسطنطينة

الذي حارب ملك الفرنسيس وتغلب عليه واسره وتي به الى تخت ملكه ودار سلطنته مدريد وانزله بالدار المذكورة وبقي تحت يده زماناً الى ان سرحه، ومنّ عليه فتركوا الدار التي كان بها على حالها واغلقوا بابها بالبناء. فهي معروفة مشهورة.

***

ولما حللنا دار النزول بمدينة (سانتا مريّة) ورد اهلها واعيانها السلام والترحيب وفيهم من البشاشة وحسن الملاقات والبشر ما ليس في غيرهم، ولم يزل الحاكم والقاضي يختلفان الينا ويتردد ان الى ان مدّ الليل رواقه وارخى في عنق الجوز اطواقه. ومن الغد حين اصبحنا ورد علينا بعض الاعيان مع الدوكي المتولي امر هذه (الكوشطة) القاطن بمدينة سان لوكار معتذراً عن حال مشيعه بمرض منعه عن القدوم فقبلنا اعتذاره وخرجنا من المدينة بعد ان برز اهلها ايضاً للتشييع وخرج القاضي والحاكم المذكوران وقبطان الخيل معسريته وساروا معنا مسافة ثلاثة اميال الى ان وصلنا حداً معلوماً عندهم فاحالاً بين عمالتهم وعمالة مدينة (شريش) فترجل الاعيان وجميع من برز معنا وشيعونا بعد ان اعتذروا عن التقصير، وقالوا هذا الحد هو فاصل بيننا وبين حاكم البلد الاخرى التي تقابلنا ولو امكننا الزيادة لسرنا معكم اليوم كله اجلالاً وتعظيماً لمرسلكم وقصدهم معنى ما قيل: ولفرد عين الف عين تكرم.

فشيعناهم ورجعوا عنا وسرنا مسافة فوصلنا مدينة شريش وفيما بين المدينة بلاد متسعة ذات اشجار وانهار وبها من الزياتين والبساتين والكروم وانواع الغراسة ما لا يحصى.

***

ومدينة شريش مدينة كبيرة واسعة واثرها اثر الحضارة القديمة وقد بقي من

اسوارها اثر واكثره دثر وخرب لان النصارى لم يكن لهم اعتناء ببناء الاسوار ولا بتحصين المدن الاّ في البعض مما قارب البحر كقادس من جهة المرسى، ومدينة جبل الفتح فانها حصينة ولها سورغير شاهق لبنائه على الموج، ومدينة شريش هذه تلقب بشرش لفرونطيره (١) ومعناها المقابلة ويعنون بها المقابلة لبر الاسلام اعزه الله، وجلّ اهلها من اهل الاندلس واعيانهم لانهم تنصروا وهم اهل حراثة وفلاحة، فعبرناها فحوة ولم نزل سائرين ذلك اليوم الى ان بلغنا عشية مدينة يقال لها (البريجة) هي مدينة صغيرة الى البداوة اميل، واثر سورها ايضاً خرب ودثر، فلقينا حاكمها وقاضيها وانزلونا داراً لبعض اكابرهم وجعلوا ينها لون علينا للسلام. وفيها انتسب لنا بعض الى الاندلس باشارة خفيفة لم يقدر على التصريح بغير كلام خفي، والغالب على جل سكانها انهم من بقايا الاندلس الا ان العهد طال عليهم وربوا في بحبوحة الكفر فغلبت عليهم الشقاوة والعياذ بالله.

ومن الغد ارتحلنا الى مدينة يقال لها (اطريرة) وفيما بينهما بلاد متسعة وارض فسيحة معمورة بعزائب العرب والمواشي واكثر غنم الاندلس اسود، وعن يسار المار من البريجة الى اطريرة مقدار ميلين او ثلاثة الواد الكبير (٢) المنحدر من اشبيلية الذي تجتمع فيه سائر اودية الاندلس وتسافر فيه المراكب من البحر الكبير الى ان تصل اشبيلية على مسافة اربعين ميلاً من البحر المذكور.

ومدينة اطريرة هذه هي مدينة بين الصغر والكبر وجل اهلها من بقايا الاندلس

---

(١) Jerez de la Frontera

(٢) وفي مخطوطة ١ : الوادي. و الوادي او الود هو النهر في لغة عامة الاندلس والمغرب.

فوصلناها عشية اليوم فوجدنا جميع اهلها وقد برزوا لنا للاستسقاء وهم على عدد نسماتهم قد رفع كل واحد منهم صليباً على كتفه فلقونا على تلك الحالة حيث لم يمكنهم التخلف فنزلنا بالمدينة داراً كبيرة مشرفة على جبل المدينة وبعد ان طرحوا صلبانهم وردوا ايضاً السلام علينا وهم في البشاشة والفرح بمكان، واهلها ذوات عظام والغالب عليهم الحسن رجالاً ونساء ولقد شاهدنا البنتين: بنت حاكم البلد والاخرى بنت القاضي في غاية من الحسن والجمال والكمال لم ترَ عيني في جميع ما رأيت من بلاد اسبانيا على سعتها اجمل منهما، وهما من بنات الاندلس ومن دم ملك غرناطة الأخير الذي كان غلب عليها وهو الملك المعروف عندهم بالري الشيكو ومعناه السلطان الصغير، ولقد اخبرني بمدينة مدريد رجل يسمى دون الونصو حفيد موسى اخي السلطان حسن المتغلب عليه بغرناطة ان البنتين اللتين باطريره من دمه، ودون ألونصو هذا هو رجل حسن الاخلاق حسن الشباب له قوة وشجاعة، معروف عند النصارى وهو معدود من فرسانهم وشجعانهم ويقوم الى الاهوال (١) والشرور، قبطاناً على جماعة من الخيل، والنصارى يعتدون بشجاعته، ومع هذا فهو مائل الى من يلقاه من اهل الاسلام ويذكر نسبته ويعجبه ما يسمعه من الحديث عن الاسلام واهله، ولقد حدثني عن امه انها حين حملت به اشتهت اكل الكسكوس (٢) فقال لها ابوه لعل هذا الحمل الذي في بطنك من فتيان المسلمين يداعبها بذلك اذ كانوا لا ينفرون عن نسبتهم لعلمهم به، وانهم من بيت الملك، نعوذ بالله من الخذلان والفوتة ونسئله التوفيق والهداية. ومن عظيم بشاشة اهل اطريرة انهم وردوا علينا ليلة مبيتنا عندهم بانفريلية الذين يحسنون الغناء في

---

(١) هكذا في الاصل

(٢) لون طعام مغربي اندلسي يعمل من دقيق يلتّ بالسمن ويضع معه دجاج وتوابل وهو مشهور جداً بالمغرب.

كنائسهم وبيدهم آلات اللهو والطرب منها آلة يسمونها الأربة ذات اوتار عدة وهي خشنة الشكل يزعمون انها آلة النبي داود على نبينا وعليه الصلاة والسلام، وعلى شكلها رأيت بيدي صورة من الصور التي يجعلونها في بيوتهم وديارهم ويزعمون انها صورة النبي داود عليه السلام اذ جميع تواريخهم وديانتهم هي مأخوذة عن ديانات بني اسرائيل وعن التوراة في زعمهم، الاّ ما زاده من الفرق الحاصل بينهم وبين اليهود حين تألبوا على المسيح وصارت العداوة بينهم بسبب ذلك، ولم يزالوا من ذلك العهد يحدثون في اديانهم واعتقاداتهم الفاسدة وضلالهم ما يحدث لهم البابا برومة، الحقه الله بكابر قومه. وبين مدينة اطريرة هذه الى مدينة (مرشينة) عشرون ميلاً فيما بينهما ارض واسعة فسيحة متسعة الارجاء سهلة. وليس بهذه البلاد الاندلسية جبال الاّ ما هو عن يمين المار تظهر على مرمى العين كجبال الرندة وما والاها، وفيما بين اطريرة ومرشينة واد كبير عليه قنطرة كبيرة مبنية احسن بناء من عهد المسلمين وبهذا الواد كانت وقعة (الزلاقة) الشهيرة الذكر، وعلى هذا الواد كنيسة صغيرة بها صورة حرب الزلاقة منقوشة بحيطانها.

* * *

ومدينة مرشينة هي مدينة متوسطة ايضاً اثرها اثر الحضارة القديمة وهي اليوم الى البداوة اميل واهلها اهل بشاشة ومنهم من ينتسب الى الاندلس انتساباً. ومنها الى مدينة (ايشكا) احد وعشرون ميلاً وفيما بينهما بلاد متسعة الارجاء فسيحة ذات جنات وبساتين واكثر شجرها شجر الزيتون، فعلى مدينة مرشينة من ناحية ايشكا ثمانية اميال كلها معمورة بالزياتين وفي كل غابة من زياتينها دار مخزن الزيتون واعمران من يقوم بها وبأمرها، وكذلك فيما يلي ايشكا من طريق مرشينة ايضاً من الزيتون مسيرة

ثمانية ايام اخرى يميناً وشمالاً وخلفاً وامامًا اذ الاندلس اكثر عمارة العدوة شجراً وزيتوناً وعلى قرب مدينة ايشكا على ربوة من الارض مطلة على المدينة اثر بناء قديم مصلح زعموا انها روضة صالح من صلحاء المسلمين رأوا له بركة عظيمة فتركوا روضته على ما هي عليه .

ولما اشرفنا على مدينة ايشكا رأينا بها من حسن المنظر وبهائه ما ليس في غيرها من سائر مدن العدوة وهي في غور من الارض على شفير الوادي المسمى بواد شينيل .

وشنيل هذا من حيث ابتداء عليه من المتنزهات والبساتين وحسن المنظر ما خامل عقول كثير من ادباء الاندلس وقد اكثروا فيه من قول الشعر على كل وزن وكل قافية ونظموا فيه من الازجال والموشحات مالا يحصى ولا يعد وما يفوت الحصر والحد .

فمن ذلك ما علق بالحفظ من قول اثير الدين ابي حيان رحمه الله وهو في مصر يتشوّق الى وطنه بغرناطة ويصف منازله بها ويبث شوقه واشجانه ويندب معاهده بها ومشاهده وهو قوله :

هل تذكرين منازلاً بالاحجل ... ومنازلاً صفت بشطي شنّل
ومشاهداً ومعاهداً ومناظراً ... ومقاصراً للقاصرات المرّفل
حيث الرياض تفتحت ازهارها ... فشممت اذكى من اريج المندل
والطير تشدو مفصحات بالغنا ... فوق الغصون الناعمات الميل
فتثير للمشتاق داء كلما ... وتديل صائر دمعه المتدلل

وما زال يسمى عند النصارى باسمه الاوّل المعهود، وهو واد كبير ينحدر من واد آش ومن واد شينيل من احواز غرناطة وجبالها وعلى هذا الواد من المتنزهات والاجنات والبساتين والارحيّة وانواع الغراسة مالا يحصى . وليس ما رأيناه في سائر العدوة

الاندلسية منتزهاً ابهى منه منظراً، والمدينة على شفير هذا الواد المذكور مع ما دار بها من البساتين والمنازه والدور التي في البساتين كلها فلك دارت كواكبه.

ولقد ذكرني ما شاهدته من حسن هذا الوادي وبديع منظره وبهائه قول حمدة الاندلسية الشاعرة التي من واد آش.

ابـاحَ الدمـعُ اسراري بـوادٍ ... لـه في الحسـن آثـار بـوادي
فمن نهـرٍ يطوفُ بكل روضٍ ... ومن روضٍ يطـوف بكـل وادِ
ومن بين الظبـاء مهـات رمـلٍ ... سَبَت لُبي وقـد سلبـت فؤادي
لهـا لحـظ ترقـده لأمـرٍ ... وذاك الأمر يمنعني رقـادي
اذا سدلـت ذوائبهـا عليهـا ... رأيت البدر في جنـح السوادِ
كأنَّ الصبح مـات لـه شقيـق ... فمن حزن تسربـل بالحـدادِ

وحمدة هذه هي من شاعرات الاندلس واخبارها مشهورة في محلها مـن اخبار شعراء العدوة وشاعراتها وهي القائلة.

ولمّا ابى الواشون الاّ فراقنـا ... ومـا لهم عندي وعندك من ثـارِ
وشنّوا على اسماعنا كل غارة ... وقلّ حماتي عند ذاك وانصاري
غزوتهـم مـن مقلتيّ وادمعـي ... ومن نَفسي بالسيف والقتل والنارِ

وقد انشدت حين أبصرت هذه المدينة وجميل منظرها متمثلاً ببيت من الحريري وضمنته بيتين آخرين.

آليت اذ نظرت عيني محاسنهـا ... ان لا نظير لهـا في مطلق الصورِ

وهذان بيتا التضمين تذليلاً.

فالله يبقيهـا حتى يـدان بهـا ... دين المهيمن محروساً مـن الكدر
بكف محتسب الأجـر منتدب ... للّـه منتسب لافضـل البشـر

وحين قربنا من المدينة برز حاكمها في كدشه ومعه اولاده ومن معه من اصحابه راكبين خويلة له زعم انها من احسن الخيل الاندلسيّة واجوادها، فالقينا خارج المدينة ورحب بنا ولم يدع من البشر وحسن الملاقات شيئاً، وسار بنا الى المدينة وطفنا اسواقها ورحابها وازقتها فاذا هي مدينة متحضرة بين الصغر والكبر وهي في غاية النظافة ولاهلها حسن اخلاق وجمال، وبوسطها المسجد الجامع عجيب الشكل متقون البناء وبصحنه اشجار الترنج وهو من عهد المسلمين وقد بقي على حاله، فوصل بنا حاكم المدينة الى داره وهي دار كبيرة واسعة فانزلنا بها احسن نزول ولم يقصر في الاكرام ولا فيما يجب عليه من الصوائر بحسن الخطاب. فبتنا في داره تلك الليلة. وفي الغد خرجنا من المدينة واطللنا على طرفها قنطرة عجيبة وعلى باب هذه المدينة وتحت هذه القنطرة من الارحية والبناءات شيء كثير، وتابعنا السير حتى وصلنا الى مدينة (قرطبة) وهي مدينة كبيرة حاضرة من حواضر العدوة وهي دار ملك قديم وفيها كان سكنى ولاة الاندلس قبل دخول عبد الرحمان بن معاوية. وفي سنة ثمان وستين ومئة انتقل عبد الرحمان من الرصافة حيث يسكن الى قرطبة وجعلها مقر ملكه يسرير سلطنته وخلافته وقد كانت قبلاً سكنى ملوك بني أمية من عهد عبد الرحمان الداخل وغيره ممن كان قبله ودن ولي من بعده ومن خلفه.

والمدينة في سفح جبل يسمى (سير مدينه) وهي على ضفة الواد المسمى بالوادي الكبير الذي ينحدر من جبال بياسة وجبال جيّان وغيرها.

والنصارى يسمونه باسم اليهود في عند المسلمين. وهذا الواد هو اكبر اودية الاندلس كلها وبه يجتمع سائرها وهو الذي يمر باشبيلية وينحدر الى البحر عند مدينة سان لوكار. وبخارج مدينة قرطبة من البساتين والجنانات وانواع الكروم مالا يحصى.

وحين قربنا من المدينة برز اهلها للملاقات وبرز من بها من الاسارى وهم يعلنون بلفظ الشهادة ويدعون بالنصر لسيدنا المنصور بالله تعالى، وصبيان النصارى يقولون مثل ما يقوله الاسارى. ولما دخلنا المدينة رأيناها مدينة كبيرة عامرة مشحونة بانواع الحرف والصنائع واكثر باعتها نساء، فنزلنا دار حاكمها.

*

* *

ومن الغد خرجنا منها بعد ان زرنا مسجدها الاعظم الشهير الذكر البعيد الصيت وهو مسجد كبير جداً في غاية الاتقان وحسن البناء وبداخله الف وثلاث مائة وستون سارية كلها من الرخام الابيض، بين كل سارية قوس فوق قوس آخر، وله من الابواب الآن اربعة عشر باباً وقد سدّ كثير من الابواب وغيرها. ومحرابه الاسلامي باق على حاله لم يتغير ولم يحدث فيه شيء الا انهم جعلوا عليه شباكاً من نحاس وطرحوا امامه صليباً فلم يدخل عليه احد الآ قوّم ذلك الصليب، ولم يزد بداخله ولا بحائطه شيء قليل ولا كثير. ولهذا المسجد صحن كبير جداً مشتمل على خصة ماء في وسطه ويدور بها في سائر الصحن من اشجار النارنج (١) مائة وسبعة عشرة شجرة، ويقابل موضع المحراب من الصحن منار المسجد وهو منار كبير مبني من الحجارة الآ انه ليس بغاية الارتفاع كمنار طليطلة واشبيلية وهو مبني على باب من ابواب المسجد المقابلة لموضع العنزة وما زال سقف المسجد وابوابه باقية على حالها لم يحدث فيها شيء الآ ما تدعو الضرورة اليه من اصلاح السقف الذي يتداعى الى السقوط وشبه ذلك، وقد احدث النصارى بوسط هذا المسجد مقابلاً لمحرابه

---

(١) وفي مخطوطة تطوان: الرنانج

قبة كبيرة مربعة مشبكة بشبابيك من نحاس اصفر جعلوا داخل هذه القبة صليباً من صلبانهم وكتب صلواتهم التي يحضرونها مع الموسيقى وشبهها .

وابواب هذا المسجد باقية على حالها من البناء الاوّل والنقش بالكتابة العربية، وهذا المسجد هو اكبر مساجد الدنيا واعظمها صيتاً .

وفي سنة تسع وتسعين ومائة ابتاع الامام عبد الرحمان الداخل موضع الجامع بقرطبة من نصارى الذمّة وكان بالموضع المذكور كنيسة قديمة فاشتراه بمائة الف دينار وزاده في ساحة المسجد .

وفي سنة كذا ومائة أسس الامام الجامع بقرطبة واخذ في بنائه اتقانا وبناه من مال الاحباس (١) وانفق في بنائه مايتي الف دينار وفي ذلك يقول بعضهم :

وابـرز في ذات الالاه ووجهه ... ثمانين الفاً من لجين وعسجد

وانفقها في مسجد أسه التقى ... ومنهاجه دين النبي محمد

ترى الذهب الوهاج بين سموكه ... يلوح كلمع البارق المتوقد

وجعل للجامع سبعة ابواب اذ ذاك، وما زال ملوك بني أميّة يزيدون في بناء هذا المسجد والاحتفال فيه الى زمن المنصور بن ابي عامر وقد زاد فيه من قبله الامام عبد الرحمان بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمان الداخل على ما كان، وزاد فيه ايضاً جده الداخل زيادة كثيرة ورفع سمكه وفي ذلك يقول شاعره ابن المثنى :

بنيت لله خير بيت ... تخرس عن وصفه الانامُ

حج اليه من كل أوب ... كأنه المسجد الحرامُ

كأنّ محرابه اذا ما ... صف به الركن والمقامُ

وقال آخر :

---

(١) الاوقاف

بنى مسجداً لم يبنَ لله مثله ... ولا مثله لله في الارض مسجدُ
سوى ما ابتنى الرحمان والمسجد الذي ... بناه نبي المسلمينَ محمدُ
له عمد حمر وخضر كانما ... تلوح يواقيت بها وزبرجدُ
الا يمين الله لا زلت سالماً ... ولا زلت في كل الأمور تسودُ
فيالبتنا نفديك في كل حادث ... وانك للاسلام فينا مخلدُ

وعبد الرحمان هذا هو اول من كسى الاندلس أبهة الخلافة وامر ببناء الجامع باشبيلية وبناء سورها من اجل طروق المجوس فيها من البحر الرومي سنة ٢٣٠ وفي سنة ٢٣٤ أمر الامام عبدالرحمان هذا ببناء الجوامع الكبيرة بسائر الاندلس فبنيت، وصنع بها المنابر للخطباء وتنافس جواريه في بناء المساجد وعمارتها واتخاذ الاوقاف لها اقتداء بفعل فبنى مسجد طروب ومسجد مجد ومسجد الشفا ومسجد متعة وكانت له همة في كتب العلوم والأدب فلقد بعث ثقته عباس ابن ناصح الثقفي الى بغداد بالاموال فاشترى له منها كل غريب، وكان ضابطاً للغريب راوياً لاشعار العرب ذاكراً لايام الناس ولقد ورثت عليه حسانة التميمية متشكية بجابر بن ابيد والي البيرة، وكان والده الحكم قد وقع لها بخط يده بتحرير املاكها وحملها في ذلك على البر والاكرام فتوسلت الى جابر بخط الحكم فلم يفدها.

فدخلت الى الامام عبد الرحمان واقامت بفنائه وتلطفت مع احدى نسائه حتى اوصلتها اليه وهو في حال طرب فانتسبت اليه فعرفها وعرف اباها ثم انشدته من تجلة هذه الابيات:

الى ذي العلى والمجد صارت ركابنا ... على شمط تصلى بنار الهواجرِ
ليجبر صدعي انه خير جابر ... ويمنعني من ذي الظلامة جابرِ
فانا رأينا من بغيضة جابر ... كذي الريش اضحى في مخالب كاسرِ
جابر بنتلي ان تكون مروعه ... لموت ابي العاصي الذي كان ناصري

سقاه الحيا لو كان حياً لما اعتدى على زمان باطش بطش قادر
ايمعوا المذيع خطته يمناه جابر لقد هلم هذا الملك لحدى الكبائر

فلما تمت انشادها دفعت اليه خط والده الحكم بتحرير املاكها وحملها على المراعات والمحابات، وقصت عليه جميع امرها مع جابر وامتناعه عليها، فرق لها وأخذ خط ابيه فقبله ووضعه على عينيه.

وقال لقد تعدّى ابن لبيد طوره وسفه رأيه. كيف ينقض امر الامام الحكم وحسبنا ان نسلك سبيله بعده ونحفظ بعد موته عهده. انصرفي ياحسّانة فقد عزلته لك، ووقع لها بمثل توقيع ابيه الحكم، فقبلت يده، فامر لها بجائزة فانصرفت وبعثت اليه بقصيدة من البيرة دنها:

ابن الهنا شبين خير الناس مأثرةً وخير منتجع يوما لسوّاح
ان هزّ يوم الوغى اثناء صعدته روى بانهاء لبيها من صوب فرصاح
قل للامام ايا خير الورى نسباً مقابلاً بين آباء واجداد
جد بتضبغي ولم تسرح الظلامة لي فهاك فضل ثنائي رائح غادي
فان اقمت ففي نعماك عاكفة وان رحلت فقد زودتني زادي

ثم ان عبد الرحمان الناصر وهو عبد الرحمان بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمان بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمان الداخل ابن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان وهو نجم بني أميّة بالاندلس شرع في الزيادة في جامع قرطبة فبناه وكمله وارتفعت في الزيادة عند كمالها ست وستون ذرية في كل ذرية عشرون كأساً كانت كلها مذهبة.

* * *

وفي سنة خمس وخمسين وثلاث مائة تم منبر جامع قرطبة بالعمل ونصب

بالمقصورة مؤلفاً من الابنوس والصندل الاحمر والاصفر والعنابي والبقم وانتهى الانفاق فيه الى خمسة وثلاثين وخمس مائة دينار (١) وعدد درجه تسع درجات، وقام هذا المنبر من ستة وثلاثين الف رطل، وكان الانفاق في الزيادة في الجامع: ماية الف دينار واحدى وستين الف دينار ونيف، وفي سنة احدى وثمانين وثلاث مائة ابتدأ المنصور بن ابي عامر بالزيادة في المسجد الجامع بقرطبة فزاد فيه نحو النصف على ما كان بناه الخلفاء قبله، وصلى الناس فيه سنة اربع وثمانين فكان العمل فيه ثلاث سنين وخدم في بنائه الاعلاج ووجوه فرسان الخلافة والفرنج يعملون مع الصناع مصدفين في الحديد الى ان كمل، وبنى فيه الجباب لاستقرار الماء من الامطار في صحن الجامع، وعدد سواريه الف واربعمائة سارية وسبع سواري منها في المنار والمقصورة وغير ذلك. ويقابل هذا المسجد القصبة الكبيرة التي كانت دار ملك قرطبة وسرير سلطنة العدوة حين اجتماع كلمتها وقبل حلول ملوك الطوائف بها، نسأل الله تعالى ان يعيدها دار اسلام بجاه نبيه عليه السلام. وما زالت أسوار القصبة باقية على حالها من حسن البناء، وارتفاع سمكه وعلوه في الجو على قدر علو المسجد.

ومن العظيم اثر بنيان هذا المسجد وعلو سمك جدرانه في الجو جعلوا له سواري من خارج الجدران مبنية من الحجارة خارجة من الحائط نفسه، وبين كل ساريتين مقدار عشرة اذرع لشد حيطانه وترصص جدرانه، ويدور بالمسجد كله بنيان على قدر قامة الانسان بارزاً مثل الشذر وان احتفاظاً للحائط المذكور وهذا المسجد هو من احسن مساجد الاسلام وصيته يغني عن الاطناب في وصفه وهو بمقدار المسجد الاقصى على ما قيل ولقد نقلت من كتاب نزهت المشتاق في ذكر الامصار والاقطار والبلدان والمدائن والآفاق حيث ذكر المسجد الاقصى ووصفه الى ان قال: وليس في الارض

---

(١) وفي مخطوطة ٢: الى خمسة وثلاثين الف وخمسماية دينار

كلها مسجد على قدره الا المسجد الجامع الذي بقرطبة من بلاد الاندلس . وفيما يذكر ان سقف جامع قرطبة اكبر من سقف الجامع الاقصى، وصحن المسجد الاقصى في تربيع طوله مائتا باع في عرض ماية وثمانين باعاً .

وفي احواز (١) مدينة قرطبة على شفير الوادي من ارض الحراثة والغرائب لانتاج (٢) الخيل مالا يحصى، لان خيل بلاد قرطبة واحوازها من البلاد الاندلسية احسن عند النصارى من خيل جميع بلاد اسبانيا على سعتها، وبسبب ذلك منع طاغية اسبانيا اهل الاندلس من ان ينزوا حماراً على (٣) فرس، ومن قبض عليه في ذلك يعاقب عقوبة كبيرة : بأخذ ماله، او حبسه او غير ذلك من انواع العقوبات ونتاج البغال عندهم هو بالبلاد المعروفة عندهم بما نشا ومعناها العلامة، وما نشا هذه هي بلاد واسعة جداً مسيرة ستة ايام وهي ارض خشنة ذات احجار، ومنابتها الشيح وغيره من المنابت اليابسة وهي البلاد الفاصلة بين الاندلسية وبين قشتالة الجديدة، وبغال هذه البلاد تشاكل بغال بلاد الشام او تقرب منها .

واهل قرطبة اهل حراثة وفلاحة، وبلاد الاندلسية كلها قليلة المياه سوى في اوديتها (٤) المذكورة ولم يكن لاهلها اعتناء، بالسواني ولا باخراجها، اذ حراثتهم كلها في البلاد البعلية الا ما سمع عن غرناطة واحوازها من تدفق المياه وجريانها من كل موضع . وعلى هذا الوادي من القناطير المبنية احسن بناء عدد كثير، وعلى باب مدينة قرطبة قنطرة كبيرة وتحتها آثار قنطرة أخرى زعموا ان المسلمين أنسوا قسم السفلى منها وقد خربها

---

(١) وفي مخطوطة (م) : وبأحواز

(٢) وفي مخطوطة (م) : لنتاج الخيل

(٣) وفي مخطوطة مدريد : من ان ينزو احد حماراً على فرس . . .

(٤) وفي مخطوطة مدريد : الا ما بها من الاودية

السيل من مدة عشرة اعوام فجدد النصارى فوقها بقليل قنطرة اخرى لها من الاقواس سبعة عشر. وقد قيل في مدح قرطبة ووصف مفاخرها.

باربع فاقت الامصار قرطبة ... وهن: قنطرة الوادي وجامعها

هاتان اثنتان والزهراء ثالثة ... والعلم اكبر شيء وهو رابعها

* * *

ومن قرطبة الى مدينة تسمى الكاريبي خمسة عشر ميلاً، وهي مدينة صغيرة على نشز من الارض بمقربة من الوادي ايضاً، وبهذا الوادي دور اليب ونواعير تصعد الماء من الوادي الى بساتين تحت المدينة، واهلها اهل فلاحة وحراثة وهم الى البداوة اميل! وعلى هذا الوادي من جانبيه من المداشر والقرى ما لا عدد له. ومن مدينة الكاريبي هذه الى مدينة تسمى اندوخر واحد وعشرون ميلاً، وهي مدينة قديمة اثرها اثر الحضارة وهي على ضفة الوادي الكبير ايضاً، وعلى هذا الوادي بقرب المدينة قنطرة قديمة من عهد الاسلام، وبفحص هذه المدينة من الثريات والغروس والبساتين وارض الحراثة ما لا يحصى، واهلها اهل حراثة وفلاحة، والغالب على عمارها انهم من بقايا الاندلس وجلهم من اولاد السراج الذين كانوا ثاروا على عهد السلطان ابي الحسن آخر ملوك غرناطة وذلك فيما يزعمونه النصراني.

ويقولون في تواريخهم ان بعض اولاد ابن زكري الغرناطيين بغرناطة كان وشى الى الملك باحد اولاد السراج وذكر عنه ان له مكالماً مع زوجة ابن الملك ومخالطة، فحنق الملك على اولاد السراج الذين معه بغرناطة فقتل منهم جماعة اعيان، وكان اولاد السراج في ذلك العهد هم اقوى جيش المسلمين وبلادهم اندوخر بيدهم باقية بعد تغلب الكفرة على قرطبة واحوازها يحاربون عليها ويذبون عنها فحين بلغهم خبر من

قتل من اخوانهم بغرناطة حفاظهم الحمية والأنفة والحق والغيظ على ان ركبوا من ساعتهم وقصدوا طاغية الوقت فتنصروا على يده وخرجوا من عنده قاصدين غرناطة فاغاروا عليها وحضروا بعد ذلك مع الطاغية في حروب غرناطة واسوارها نعوذ بالله من الضلال بعد الرشاد ومن الغواية بعد الهداية.

وجل هؤلاء المتنصرة الذين باندوخر يعد من اكابر اهل البلد غير انه لا يعد عند النصارى مثل ما لهم من الكبيرة التي يتوارثها النصارى خلفاً عن سلف مثل الدوقي او الكندي وشبههما واكثر ما يحصل لهم اليوم من الكبيرة ان من يكون من نسل هؤلاء القوم الذين تنصروا ان يرث حل الصليب على كتفه يرقمه في ثوبه المندثر به فذلك هي علامة الاستصابر منهم. والخطايا التي يتولونها بقايا هذا الجنس المذكور هي الكتابة وحكومة البلدان والشرطة وغيرها مما ليست له وجاهة كبيرة وولاية شنيعة مثل التصرف في المعاملات او الولاية للاقاليم الكبيرة والمدن القواعد مثل اشبيلية ومالشا كالها، وعلى كل حال فهم في هذه النواحي كثيرون لا يحصون فمنهم من ينتسب ومنهم من لا ينتسب ومنهم من ينفر من ساعة الانتساب ذلك والذي ينفر من هذه النسبة ويتأبى عنها ينسب الى جبال نارى وهي جبال بعيدة من قشتالة كان انحاز اليها من بقي من النصارى من ساعة تغلب المسلمين على العدوة يتفاخرون بالانتساب الى تلك الجبال وما والاها والذين يليهم ولاية او خطة من الخطط المخزنية من اهل هذا الجنس لا ينفرون من هذا الانتساب.

فلقد لقيت يوماً بمدينة مدريد رجلا (نسيت اسمه الآن) راكباً في كدش له ومعه جماعة من النساء صغاراً وكباراً لهم حسن وجمال فوقف وسلم سلاماً كثيراً واظهر هو ومن معه من النساء بشراً وترحيباً فقابلناه بما يجب، وحين اراد الانصراف عرّف بنفسه بأن قال: نحن من جنس المسلمين من نسل اولاد السراج، فسألت عنه بعد ذلك

فقيل لي انه مـن كتّاب الديوان وهو الذي يقرأ ما يحصل بالديوان من رقاع وعرض حال وشبهه.

وكذلك ايضاً كانت جماعة من اهل غرناطة لهم بها ولاية واحكام وسكناهم بمدينة مدريد ترد علينا صحبة ضون ألونصو الذي هو من عقب غرناطة وينتسبون الى الجنس الذي كان بغرناطة وغاب عليهم الشقاء. والعياذ بالله.

ولقد كانوا يسئلون عن دين الاسلام وعن اشياء منه، فحين يسمعون ما نجيبهم عنه من الديانات واحكام الطهارة التي بني الاسلام عليها وغير ذلك، يعجبهم ما يسمعون منه وينصتون اليه ويشكرونه بمحضر النصارى ولا يعبئون بمن حضر، ولم يزالوا مـدة مقامنا بمدينة مدريد يكثرون التردد لدينا ويردون علينا المرة بعد المرة ويظهرون من المحبة والتحنن شيئاً كثيراً. نسئل الله تعالى ان يهديهم الى الصراط المستقيم ويرشدهم الى الدين القويم.

ومن مدينة اندوخر هذه الى مدينة تسمى لينارس اربعة وعشرون ميلاً، وهي على مسيرة ثلاثة اميال او اربعة من مدينة اندوخر، يفارق المار الوادي الكبير ويتركه يمينه (١) عند انحداره من الجبال.

ومدينة لينارس(٢) هي مدينة متوسطة اثرها اثر الحضارة قديماً وبها من بقايا الاندلس النزر القليل من سكانها وبخارجها معادن كثيرة من الرصاص الذي ينقل الى كثير من بلاد اسبانيا.

ولما وصلنا هذه المدينة ورد علينا اهلها للسَّلام كالعادة، منهم جماعة من الفرايلية (٣)

---

(١) وفي مخطوطة (م): يمنته عند ما ينحدر من الجبل

(٢) وفي مخطوطة (١): لينارس

(٣) لفظة اسبانية معناها الرهبان (3) Frailes

مسلمين علينا وطلبوا منا على لسان الراهبات ان نصلهم وننظرهم فواعدناهم من الغد.

ولما اردنا الخروج من المدينة ضحوة، طرقنا الكنبينطوا (١) الذي هنّ به فدخلنا عليهنّ فوجدناهنّ في دار مجاورة الكنيسة يسمعن الميسة (٢) وهنّ في غاية مايكون من التحفظ والصون من الصغيرة التي يبلغ عمرها سبعة اعوام الى العجائز والمتجالات وهنّ ابكار، ومن عادتهنّ في ذلك ان جميع من احبت الترهب والتزهد تدخل الكنبينطوا المعد لذلك سواء كانت صغيرة او كبيرة بعد ان تحلف وتشهد على نفسها انها لا تدخل الى ذلك الموضع (٣) الا بعد ان لم يبق لها في الدنيا أرب ولا غرض ولا تتعلق لها شهوة في رجل ولا في نظر ولا في دخول ولا في خروج. فتدخل الكنبينطوا وتلبس من اللباس ما خشن فان كان لها مال يجري عليها منه بالقسط ومن ليس لها مال منهنّ تخدم غيرها وتعيش معها او تأكل من الحبس الموقوف عليهنّ وهذا الكنبينطوا المعد للراهبات ويسمونهنّ بالعجمية المونكاص لا يدخله احد من الرجال اصلاً وعليهن عجائز موكلات بهنّ، فاذا حصل باحداهن مرض تتوقف فيه على الطبيب يدعى لها الطبيب ويدخل عليها بعد ان يحفان به اربعة عجائز، واحدة عن يمينه والاخرى عن شماله والثالثة من خلفه والرابعة امامه فيدرن به حين دخوله باب الكنبينطو ولا يفارقه حتى يخرج.

ودخول المرأة للكنبينطو هو بمثابة موتها اذ لم يبق لها أرب في شيء من الدنيا الاّ من دخلت منهنّ صغيرة السن قبل البلوغ فتستشار حينئذ وتخير في امرها ويلقى اليها امر نفسها فاذا اثرت ذلك الموضع واحبته وقالت لا أرب لي في الخروج ولا في الزواج بعد ان يخلى بينها وبين نفسها يشهد عليها بقبول ذلك ويوخذ عليها العهود والمواثيق على

---

(١) الكنبينطوا: لفظة اسبانية معناها: الدير (1) Convento

(٢) الميسة: لفظة اسبانية معناها القدّاس (2) Misa

(٣) وفي مخطوطة (م): انها لاتوثر الدخول لذلك الموضع

مقامها هنالك بغرضها وانها لم يبقَ لها تعلق ولا تشوق الى شيء من امور الدنيا وان هي احبت الخروج والتزويج لا تمنع منه وتجاب اليه فمنهن من تؤثر المقام هنالك لاجل الألفة ومنهنَّ من تؤثر المقام لما يغلب على ظنهنَّ انهنَّ على طريق قويمة ومنهنَّ من تخاف السبة والعار بخروجها بعد ان حسبت من الراهبات، والغالب على دخولهنَّ الى الكنبينطو عدم وجود الصداق الذي تعطيه على زواجها للرجل، في عوائدهم ان المرأة تدفع المهر من عندها وصاروا يتغالون في ذلك حتى آل الى عدد كثير لا يقدر عليه الاَّ من له وفر ومال وميراث كثير فصرنَ يدخلنَ هذا الموضع المعد لذلك حين لا يجدنَ اتساعاً في المال ومنهنَّ من تكون من الاعيان الاكابر ذي المال الكثير فتزعم انها زهدت ورفضت الدنيا والرياسة وحب التكبر وتدع تكبرها ورياستها لغيرها من اخواتها او لاهلها وتدخل الكنبينطو (١) والغالب عليهن انهن ابكار، ومنهنَّ من يحب ابوها او امها صونها من الافات الدنيوية وعار الاحدوثة النفسانية فيودعها هنالك بقصد التحفظ والصون الى ان يبلغ وقت تزويجها فيخرجها، كما رأيت في كنبينطو لنكاص (٢) الراهبات من مدينة اشبيلية صبية في غاية الحسن والجمال واعتدال القامة وصباحة الوجه لها اربعة عشر عاماً او ما يقرب منها ولباسها غير لباس الراهبات فسألت عنها وعن سبب مخالفة لباسها لجميع الراهبات، فقال انها مودعة هنالك بقصد الصون والتحفظ الى ان تتزوج. اودعها ابوها قبل ان تستكمل لبنها وهي ابنة عشرون شهراً.

ولهولاء الراهبات مذاهب وطرق بعدد مذاهب الفريلية وطرقهم ومنهم جنس

---

(١) كنبينطو: لفظة اسبانية معناها: الدير (1) Convento

(٢) يقصد لفظة اسبانية: مُنخاص ومعناها الراهبات (2) Monjas

يسمى الامكالصوص (١) مذهبهم في الترهب ان لا يكتسبوا ولا يخزنوا فلساً ولا ديناراً ومعيشتهم من الصدقات التي يزعم النصارى انها صدقة.

وكذلك في النساء الفريليات جنس لهنَّ في الترهب طريق ضيقة متعبة وهنَّ ساعة تريد المرأة دخول الكنبيطو المعروف لهذا الجنس يوجه عليها العهود والمواثيق والايمان انها لم يبقَ لها غرض في الدنيا ولا شيء من امورها وان لا تفتح عينيها على احد ممن هو ليس من اهل الكنبيطو حتى اذا احب ابوها او امها رؤيتها تجعل على وجهها برقعاً يمنعها من النظر اليهما وهما في غاية الرثة والتقشف بخلاف غيرهنَّ من اهل المذاهب الاخرى وحتى الشبابيك الموضوعة لهنَّ بينهن وبين الكنيسة لسماع الكفر سمات شبابيك ضيقة جداً في موضع مظلم وبخارج الشباك مما يلي الكنيسة كلاليب ومخاطيف (٢) ومسامير كثيرة تمنع التقرب من الشباك مع ضيق عيونه، فلا يقربه احد وقد جعل هذا الشباك خفياً في موضع مظلم بحيث لا يرى من داخل ولا من خارج (٣) ولقد طلبوا اهل هذا الجنس في مدينة كرمونة رؤيتنا والتمس منا ورغب الحاكم قدومنا اليهنَّ فوجدناهنَّ على هذه الحالة وهنَّ في غاية التقشف وحين جرى الكلام بيننا وبينهن واردنا الانصراف قالت واحدة منهن ما معناه: سلكنا الله واياكم مسالك النجاة والله ما عرفنا اين يسار بنا، فقلت لها الى جهنم وبئس المصير.

وهذا الجنس هو في غاية التقشف والترهب واما النير فعليهنَّ ضيق السجن وعدم الخروج والترويج والتمتع في الملابس وغير ذلك من احوال الدنيا والاَّ فبينهن وبين الجنس المضيق عليهنَّ بون بعيد وهنَّ على مذاهب الفرايلية في التقشف والاتباع.

---

(١) ربما يقصد اراد لفظة دمكالصوص وهي: طريقة رهبانية الحفاة (3) Descalzos

(٢) وفي مخطوطة (ا): وخطاطف.

(٣) وفي مخطوطة (م): بحيث لا يرين منه ولا يُرين.

فمن الفرايليّة من تجده جعل في يده تلك الخطاة سبباً وحيلة على الدنيا وجمعها، فان كانت له يد عند المخزن يقبض من وفر الحبس الآلاف زاعماً انها لمعيشته ومنهم من جعل في يده تلك الخطاة سبباً للاستراحة من تعب الدنيا ومشقتها وتكفيه الراحة ومنهم من جعلها في يده درقة يستتر بها لتقيه وتمنعه من كلام الناس فلا يقدر احد ان يتكلم في احد من الفرايليّة بعيب اويلمزه بقبيح ولو شاهده حقيقة، وهم الضالون المضلون المنكبون عن طريق الحق، فلقد ضلوا واضلوا اخلى الله منهم الارض وعمرها بدوام ذكره ولقد جرّ بنا الحال الى ذكر هذا.

ولنرجع الى ذكر مدينة لينارس التي رأينا فيها الفرايليات الراهبات وهي كما قدمنا مدينة متوسطة اثرها اثر الحضارة واهلها اهل بشاشة، ومن بشاشتهم وعوائد كرمهم ان اجتمعوا كلهم نساء ورجالاً واتوا بآلة الطرب وعادتهم ان يرقص منهم رجل وامرأة فحين يقوم الرجل يريد الرقص يتخير من النساء صغيرة او كبيرة ويزيل لها شمريره الذي على رأسه ويبايع لها فلا يمكنها التخلف اصلاً، وجل اهل هذه البلد اناس ذوفلاحة وحراثة ولم تكن دار تجارة ولا سبب لانها غير معدودة من الحواضر.

ومن مدينة لينارس هذه الى دشرة تسمّى طري كوان ابان وهي دشرة كبيرة واهلها الى البداوة اميل، وبداوتها شبيهة ببداوة بربرنا اهل الجبال الفحصية وما جاورها، ولقد خرجوا الملاقاتنا يوم ورودنا عليهم وبيد جماعة من نسائهم المزاهر والدفوف على عادة بربر بلادنا وغناؤهم مخالف لغناء اهل الحواضر من النصارى، ودخلنا الدشرة المذكورة يوم رحيلنا من لينارس وهو يوم انفصالنا عن البلاد بالاندلسيّة ودخلنا مانشا التي قدمنا ذكرها وهي بلاد خشنة ذات جبال واحجار ومسالك وعرة وغيض ماتغة واشجار وانهار يابسة لان هذه البلاد المسماة مانشا هي بلاد يابسة جداً ومنابتها الشيح وهي يابسة باعتبار الاندلسيّة وان كانت كلها قليلة المياه وقراها احمر ومدائنها متبدية بخلاف الاندلسيّة

ومن دشرة طرّي كوان ابان ومعنى الطري البرج(١) وصلنا داراً معدة للنزول قرب مدينة تسمى شكلانة اذ كانت في سفح جبل منكب عن الطريق وهذه هي عوائدهم في جميع هذه البلاد الاندلسية وغيرها من سائر بلاد العدوة فعند كل مسافتين او ثلاثة مسافات يجعلون فندقاً اوداراً معدة لنزول الضيوف والمسافرين فاذا وصل المسافر الى موضع منها ينزله ويجد فيه من الطعام ما يشتهيه وما تبلغ اليه مقدرته، كل على قدر وسعه ويجد العلف لدوابه والفراش لنفسه فيأكل ويستريح ويطعم دوابه ان كان نهاراً وان كان ليلاً فلا يحتاج الاّ الى الكلام والاستحكام في طلب ما يجبه ويشتهيه.

وعند ما يريد الخروج من الفندق او الدار المعدة لذلك تأتيه زوجة الموكّل بالموضع اوابنته بزمام في يدها وقد حسبت ما عليه(٢) من ثمن الطعام والعلف وكراء المسكن والفراش فلا يمكن للضيف الاّ اعطاء جميع ما تحسبه عليه من غير مناقشة، وصاحب الفندق اوالدار قد تحمّل ذلك بجعل معلوم للطاغية فلا يجد احد من المسافرين في هذه البلاد ان كان سفره قريباً اوبعيداً ان يبيت في فلاة من الارض اويقيل حيث ما ادركه المقيل وانما سفرهم في وقت معلوم بحد معروف من كونه اذا ارتحل من الموضع الفلاني يعرف مقيله في الموضع الفلاني ومبيته في كذلك في موضع معلوم ولا يحمل المسافر مدة سفره زاداً ولاشيئاً من المأكولات ولا يحتاج الاّ ان يصحب معه مالاً للنفقة، وملازمهم في النفقة كثيرة لغلاء الاسعار دائماً فتجد الرجل في بلاد اسبانيا الذي يريد المعيشة من غير تدفق داخل اكل وشرب ويقتصد في معيشته من غير سرف ولا اسراف فلا يكفيه مع اقتصاده ريال واحد.

واما من احب التأنق في المأكل والمشرب فنفقته كبيرة وملازمه كثيرة ومع هذه

---

(١) يقصد بها لفظة طورّي Torre ومعناها البرج

(٢) وفي مخطوطة (م): ما صيّرته عليه

العمارة وكثرة المداشر والقرى والمدن التي في اسبانيا لا يقدر احد ان يسافر وحده في مدة مسافات جبل سيرمدنية وجميع بلاد مانشا لما فيها من الخوف وكثرة اللصوص.

فلقد كان النصارى الموكلون بنا في طريقنا حيث وصلنا هذه البلاد يستعدون ويتأهبون ولا يحبون ان يتقدم احد من اصحابنا ورفقائنا ولا يتأخر مخافة من الآفات واذا لقينا ثلاثة اناس او اربعة نسألهم عن مرورهم بالعدة القليلة فيقولون من مثل هؤلاء يخاف لانهم اذا وجدوا غرة في هذه البلاد المخيفة يفعلون ما يفعله اللصوص ولا يعرف لهم عين ولا اثر.

واما المتلصصون فلم يكن منهم هنالك احد يذكر الا نادراً، ولقد ورد علينا عند مارحلنا من مدينة مدريد بقرية طُرّي كيوان ابان رجل من قرية تسمى قوصراً بينها وبين الطُرّي المذكور اميال، فرحب وسلّم وذكر ان لدمشقيون ألونسو حفيد مالك غرناطة محبة كثيرة وصحبة اكيدة وزعم انه كتب له من مدريد كتاباً يلزمه فيه بمرافقتنا في هذا الموضع المخيف يحضه فيه على ملازمتنا مدة مسيرنا في هذه البلاد التي يتوقعون فيها شيئاً من ذلك.

وكان هذا الرجل المذكور ممن يعد من لصوص هذا الجبل وله قوة وشجاعة، ذكر انه لما كان يتلصص بعث له طاغية اسبانيا سرية من ثلاث مائة رام يقبضون عليه فاختفى لهم في ناحية من هذه الجبال فلم يقدروا عليه ولما رجعوا عاد الى داره بقواصراً وهو الآن فيها غير خائف على نفسه ولا على الدغير أنه يريد ان يأخذ من الطاغية عفواً يأمن به في نفسه ويجعله في يده وفاراً وامانا. واما هو في خاصة نفسه ليس عليه خوف من شيء.

ولقد رأيت غرائبه وخيله رائعة في فدادين من الأرض قرب المدينة ترتع وتسرح ولقد حدثت عن نفسه ما عمله في هذه الجبال من افعال التلصص ولقد اظهر اليوم رجوعاً عن ذلك وقال لي لو كنت متأهباً السفر لقدمت معك الى مولاي اسماعيل اطلب منه كتاباً احترم به الى سلطان اسبانيا ليكتب لي اماناً تطمئن به نفسي، وان قدم من هذه

البلاد بعد هذا احد فاني اصاحبه واقدم معه، ولما احبّ مرافقتنا التي اتى لسببها قلنا له : لا نحتاج اليك ورجوعك الى دارك من هنا اوفق وعزمنا على رده فأبى الاّ المرافقة والمصاحبة، فتركناه اسعافاً لغرضه والصحبة التي متّ بها الى ضمون الونصو، فرافقنا يوماً هو وصاحب له ورجع عنّا بعد ان الزمناه الرجوع والاياب الى مقره.

* * *

وبين هذه الفنادق المعدة لهذه الرفاق والمسافرين خيل معدة بقصد سفراء المخزن ورقاقيصه الذين يقطعون المسافات العديدة في الساعة الواحدة وذلك اذا قرب الرقاص من الموضع المذكور يسمونه باسانهم البيطة (١) يخرج له فرساً مسرجاً ويلقاه به عند باب البيطة وبيده كأس من خمر وبيضتان من بيض الدجاج يشرب ذلك ويبدل فرسه بالفرس الذي احضر له ويصحب معه وكيل الموضع رجلاً آخراً راكباً ايضاً حتى اذا قرب من البيطة الأخرى نفخ في البوق الذي عنده المعد للاعلام فلا يحل حتى يجد الفرس محضراً مع العادة التي يشرب من خمر وغيره، فيناول الفرس الذي اتى به الرفيق الذي معه ليرده لصاحبه ويأخذ فرساً آخراً ويصحب معه رجلاً وكذلك يفعل في كل مسافتين او ثلاث، فيقطع المفاوز النائية والبلاد القاصية في اليوم الواحد.

ولقد كانت ترد علينا من مدينة مدريد ونحن مقيمون بمدينة سان لوكار على البحر الكبير رسائل انكردينال واهل ديوان اسبانيا لثلاثة ايام تمر من ساعة تاريخها فنقضي العجب من ذلك مع ان مسافة ما بينهما اكثر من ثلاث مائة ميل، وكذلك يفعلون

---

(١) Venta لفظة اسبانية قديمة معناها : فندق، خان، نزل.

في سائر بلاد العجم الا ان الرقاص يحتاج في المسافة الاولى الى خط يد المتوجه من عنده وانه مرسل الى البلد الفلانية ليعطيه ما يحتاج اليه من مركوب ومرافق.

فاذا اعطاه اول موكل من وكلاء البينطات صار ما يعطيه له بمثابة الكفيل والزعيم الضامن حذراً من ان يكون هارباً من فعلة فعلها او شبه ذلك من الأمور التي يحذر منها وتلحق الوكلاء بسببها عقوبة او تمكنهم في مثلها غرة، فلا يحتاج بعد المسافة الاولى الى تعريف ولا الى بحث، ومعلوم عندهم ما يعطى في كراء الفرس والرفيق على كل ساعة.

وقد التزم الوكيل الذي على البينطة جميع ذلك واحضاره بجعل معلوم يقبضه منه الوكيل على شبه ذلك من المكوس ومحصولات الطاغية، فالرقاص يعطي ما يجب عليه في كل مسافة وصاحب الفندق يعطي ما يجب عليه في تخصيصه بذلك لالتزامه اياه على رأس كل سنة، واكثر محصولات العجم من المكوس وشبهها. ومن هذه الدار القريبة لشكلانة الى بينطة اخرى معدة للنزول ايضاً تسمى بينطة سان اندريس ينزلها المسافرون على العادة وبالقرب منها قرى متصلة ومداشر عامرة.

وقد ورد علينا اهل هذه المداشر رجالاً ونساء وورد حاكمهم وله بنات كبار ذات جمال (١) واولاد صغاراتي بهم من مسافة ثلاثة اميال وهم الى البداوة اميل منهم الى الحضارة لبعدهم عن القواعد من المدن والحواضر.

ومن هذه البينطة على اربعة اميال موضع فيه واد صغير وبينطة اخرى معدة للنزول وكنيسة يقصدها النصارى من كل موضع وقرية او مدينة.

ولهذه الكنيسة بستان عجيب فيه عين ماء عذبة وهي في ارض فسيحة على قدر مرأى العين.

وفي هذا الفسيح يعمر سوق مرة في السنة في اليوم الاوّل من شهر (كذا) فيقصده

---

(١) في مخطوطة. ٢: ذوات جمال

المسافرون واهل التجارة والسبب من كل اوب وينهالون عليه من كل حدب فيعمّر في وسط هذه البلاد من غير عمارة بناء خمسة عشر يوماً ويتفرقون عنه فلا يعمّر الابعد سنة في اليوم المعلوم من الشهر نفسه ويسمونه بلسانهم الفرية(١) ومعناها السوق.

ومن موضع هذا السوق الى مدينة تسمى:

المنبريلية وهي مدينة تدل على حضارة قديمة واكثر هذه المدن اليوم تسمى قرى (٢) لتبديها وخلوها في معنى المدن واثرها.

وحيث كان النصارى دمرهم الله لا اعتناء لهم ببناء الاسوار واذا خرب السور او دثر لايجددونه، لذلك لم يبق للمدن اسم الا القرى، وارضها ارض فلاحة وحراثة ومأؤها قليل جداً الا ما في بساتينها وعراصيها من السواني، وبقرب هذه المدينة بقدر ميل مدينة اخرى تسمى:

مانسنارس واجنتها متصلة بجنينات المنبريلية وهي مدينة متوسطة الا انها اكبر من المنبريلية واكثر منها حضارة، فحين اشرفنا عليها لقينا اناس اعيان من مدينة تسمى الماكرو على تسعة اميال من منسنارس وهم اصهار النصراني الحلبي (٣) الترجمان الوارد من قبل طاغية اسبانيا سفيراً وردوا من مدينتهم المذكورة ونزلوا بدار رجل كليريك(٤) هو ابن عم لهم والكليريك عند النصارى هو الطالب الذي قرأ علومهم وليس بافريلي الا ان الكليريك ايضاً هو بمثابة الفريلي في عدم التزويج، ولباسه مخالف للباس الفريلية

---

(١) الفرية لفظة اسبانية معناها: المعرض وتطلق ايضاً على الاسواق التي تقام بالمواسم والاعياد Feria (Foire)

(٢) وفي مخطوطة (م): تسمى قرية

(٣) وفي مخطوطة (ا): الشامي النصراني الحلبي

(٤) يقصد بها لفظة اكليريكي: نسبة الى الاكليرس

ولباس غيرهم من سائر النصارى، وهؤلاء الكيريكوس هم الذين يجعلون الميسات (١) ومعناها الصلوات ويخدمون في المساجد آلة الموسيقى ويقرؤن كتب صلواتهم بالحان واصوات منتقات ومنهم من يختصي لتحسين الصوت وترقيقه وتحسين نغماته، فلقد رأيت بمدريد عند الطاغية شابين خصيين من الطلبة وهما عنده بقصد قراءة الصلوات مع الموسيقى بالالحان التي يستحسنوها وهؤلاء القوم الذين وردوا من الماكروهم من اعيان المدينة ولهم هناك وجاهة وورودهم كان بقصد الملاقات فسلموا علينا وانقلبوا بنا الى دار ابن عمهم المذكور.

وقد اعدوا داراً اخرى لنزول النصارى الذين في رفقتنا وانفقوا على ذلك مالاً وافراً وحين وصلنا المدينة وجدناها مدينة مليحة وبطرفها قصبة صغيرة حصينة لها سور شاهق وابراج، ويدور بهذا السور سور آخر اقصر منه ويدور بالجميع حفير منيع في احسن ما يكون.

والمدينة بنفسها لا سور لها فدخلنا دار الكليريك المذكور ففرح بنا فرحاً شديداً وارانا جميع ما عنده من الصور وما في معناها اذ كان معجباً بها وكثيراً ما تضرع ورغب في ان نساعفه في شرب شيء من الخمر اطنب في شكره وزعم انه قديم عنده وله سنين عديدة، فقلنا له لا يحل ذلك في ديننا ولا يسوغ في ملتنا فجعل يشفق من شربنا الماء البارد صرفاً، وبتنا عنده بعد ان احضر من يقرب اليه من النساء كبنات عمه واخواته حيث كان اعزب، ومن الغد خرج معنا بنوعمه للتشييع الى ان برزوا خارج المدينة ورجعوا الى ديارهم وبلادهم.

ومن هذه المدينة المسماة ما نسنارس الى مدينة تسمى مورا ومعناها المسلمة وسبب تسميتها بذلك والله اعلم انها ربما تأخرت عن جيرانها من المدن بشيء مافي التنذر وما

---

(١) جمع ميسة وهو القداس Misas

بين المدينتين من الكروم ما لا يحصى ولا يعد، فقد سرنا طول ذلك اليوم بين بساتين الكروم، اذ لم يكن في هذه النواحي سوى الكروم، وذلك لقرب المسافة بين اهالي هذه النواحي وبين مدريد لقد اكثروا من غرسه ليعصرونه خمراً(١) ويشربونه دائماً في كل حين من احيانهم وعند اكلهم واكثر شربهم الخمر، فقلما تجد من يشرب الماء في جميع هذه البلاد، ومع كثرة استعمالهم الخمر فلا تجد احداً منهم ثملاً ولا مغيب العقل، والذي يشرب منه الكثير حتى يصل منه السكر فيزيف ولا يعد عندهم شيء اصلاً، وهذا الخمر الذي يشربونه منهم من يمزجه ومنهم من يشرب منه شيئاً قليلاً صرفاً ولكثرة استعمالهم اياه وكثرة عمارة مدريد باهلها وقصادها للسكنى والعمارة والتجارة يباع فيها الخمر باغلى ثمن ويعطى عليه مكوس بباب المدينة ثلثا قيمته ولا يعبئون بذلك لعدم استغنائهم عنه في سائر اوقاتهم ولاستعمالهم اياه جميعاً رجالاً ونساء صبياناً، ذكوراً واناثاً، عموماً وخصوصاً، رهباناً وقسوساً وشمامسة وفرايلية وغيرهم، بحيث لا يدع احد شربه ولا يستغني عنه.

* * *

وبلاد مورا هذه هي مدينة متوسطة اقرب الى الصغر واهلها بمثابة اهل مانسنارس من الحضارة ومثلهم.

وحين خرجنا من مدينة مورا بعد ما بتنا بها ليلة سرنا نحو خمسة عشر ميلاً وصلنا الى واد كبير يسمونه وادي طاخوا وهو مار بمدينة طليطلة وهي على يسار المار من طريقنا هذه بنحوستة اميال وتظهر المدينة من هذا الموضع على بعد مرأى العين اذ هي في ربوة من الارض، وعلى هذا الواد المذكور وبهذا الموضع من الوادي الذي مررنا به دار كبيرة

---

(١) وفي مخطوطة (م): لما يستعملونه من الخمور

للطاغية ينزلها حين صيده بهذا الوادي وحوزه، اذ عن يمين المار من جانبي الواد غياض واشجار ملتفة وهي ممنوعة محمية بقصد اصطياد الطاغية وقنصه فلا يقدر احد على الدخول اليها ولا على الاصطياد بها، وحيث كانت هذه الطريق هي المرور عليها لمدينة مدريد وقشتالة وغيرها ولم تكن على هذا الواد قنطرة للعبور جعلوا به خشباً كبيرة ملصقة بعضها لبعض وربطوا بها حبالاً من العدوتين فاذا وردت القافلة او الجماعة من الناس او الكدش او الغليرة (١) ذات الكراريط يقرّب المركب الى شفير الواد فتطأ عليه الدابة من غير تعب ولا مشقة ويجذب المركب انسان واحد من العدوة الأخرى فلا يشعر الانسان وهو في كدشه اوعلى دابته الا وقد عبر النهر وحصل في العدوة الأخرى بسهولة، وعلى ذلك جعل قليل لابال له.

وهذا الواد بهي المنظر رحب الفناء فسيح الارجاء عليه من البناءات والقرى والارحية شيء كثير وعليه من المزارع مالا يحصى ويصاد بهذا الواد السمك الا انه قليل جداً.

ومن هذا الوادي على مسيرة ستة اميال قرية تسمى بنكص وهي قرية بداوية لاحضارة بها واهلها الغالب عليهم البداوة وبها كان مبيتنا يوم مرورنا بهذا الواد ومنها رحلنا يوم الذي دخلنا مدينة مدريد اذ بينهما عشرون ميلاً، وفيما قبل مدينة مدريد على ستة اميال مدينة كبيرة تسمّى خطافي.

وهي كبيرة جداً الا انها لما كانت قريبة من حاضرة مدريد اصبحت مدريد في هذا الزمان هي الحاضرة وبها استقر طواغي اسبانيا فانتقلت حضارة هذه المدينة وغيرها من جميع حواضر اسبانيا الى مدريد. فوصلنا الى

---

(١) الغليرة: يقصد بها لفظة اسبانية Galera ومعناها العجلة كما استعمل ذات الكراريط ويقصد بها لفظة Carreta

مدينة خطافي هذه عند ما انتصف النهار فلقينا بها رجلاً من اعيان خدام الطاغية يسمى كرلوص ذو القسطيلي ويلقب بالكندي (١) راكباً في كدش الطاغية نفسه وقد وجهه للملاقات، اذ ان هذا الكندي هو المعين عنده للقاء الوفود الواردة عليه من ممالك أخرى اسلامية وغيرها وهذه هي خطة هذا الكندي لا غير، وله عليها من المراتب (٢) ثلاثة الآف ريال في كل سنة، وحين لقينا ترجل وسلم نائباً عن عظيمه واركبنا في الكدش الذي اتى به بعد ان رحب واظهر من البشر ما اظهر، وسار بنا قاصداً الى مدريد، فحين قربنا منها بقدر ميل رأينا خلقاً كثيراً برزوا للملاقات، منهم صاحب الكدش والمترجل والفارس وغيره.

فوصلنا الى المدينة واذا هي على ربوة من الارض في شفير واد كبير ينحدر من جبال كثيرة الثلوج وهي الفاصلة بين هذه البلاد وبين قشتالة المعروفة بقشتالة القديمة، ومدريد هي في قشتالة التي يسمونها قشتالة الجديدة، وهذا الواد هو كثير المياه في زمن البرد لما يحصل بهذه الجبال المذكورة من الثلوج، ويسمى هذا الواد مانسنارس وعليه قنطرتان احداهما مبنية احسن بناء والاخرى خربها السيل والآن يجمعون الاقامة لبنائها وقد بنيت سواريها وجعلوا عليها خشباً وثيقة يمر عليها الكدش والقراريط (٣) وغيرهما وسائر الناس، فدخلنا المدينة واذا هي مدينة كبيرة جداً مليحة البناء واسعة الفناء فسيحة الارجاء وبها من الخلق عدد كثير.

فلقينا من بها من الاسارى وهم فرحون مسرورون معلنون بلفظ الشهادة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والدعاء بالنصر لسيدنا المنصور بالله تعالى، وصبيان النصارى

---

(١) وفي مخطوطة (م): القندِ

(٢) وفي مخطوطة (م): المراتب

(٣) Carretas

يقولون مثل ما قالوا (١) ولقد مررنا حين دخولنا على دار الطاغية فرأيناه واقفاً في طاق ينظر من وراء الزجاج فقيل لنا هو ذاك، والاسارى معنا على ماهم عليه ومُربنا في ازقة واسعة كلها مفروشة بالحجارة الى ان وصلنا داراً هي بقرب دار الطاغية وهي دار كبيرة معدة عنده لنزول من يرد من بلدان بعيدة من غير جنس النصارى، اذ عوائدهم في ذلك ان ينزلوا عنده ثلاثة ايام وينظرون لانفسهم دياراً يسكونونها حيث كانوا يردون بقصد المقام والسكنى فان من عوائد ملوك العجم ان يبعثوا الى ملوك امثالهم مراسيل يسمونهم الانبشادورين (٢) يكونون هنالك وسائط بينهم وبين الملوك فيما يعرض لبعضهم عند بعض من المخاطبات وغيرها، ومن ورد من غير هذه الاجناس ينزل في تلك الدار الى ان ينصرف مثل وفود الترك التي وردت على اسبانيا فيما قبل منذ اربعين عاماً.

زعموا انها من اسطنبول والصحيح انها كانت من عند بعض السفهاء الذين يريدون التخليط على ملوك القسطنطينية (٣) وفيما قبل هذا بثلاثة اعوام ورد وفد من بلاد مسكوبيا وهي بلاد بعيدة في ناحية القطب الشمالي وردوا على عظيم اسبانيا يخطبون من امه ابنة اخت لها في بلاد المانيا اراد ملك مسكوبيا تزويجها، بحيث لم يرغب اهلها في تزويجه اياها اسندوا امرها الى خالتها ودفعوهم الى اسبانيا وهذا هو سبب قدوم وفد مسكوبيا الى هذا الطاغية فيما ذكر.

وحين دخلنا هذه الدار وجدناها داراً كبيرة جداً وقد شحنت بالفرش والتعاليق

---

(١) وفي مخطوطة (م): مثل قولهم

(٢) السفراء Embajadores

(٣) وفي مخطوطة (م): قسطنطينة

وجميع الاقامة ووجدنا بها قيماً كان يعمرها وهو من خدّام الطاغية الموكلين بفراشه فادى الينا سلام ملكه بعد ترحيب كثير، واقمنا هنالك اثني عشر يوماً.

* * *

وكان دخولنا لمدريد عشية يوم السبت السابع من شهر ربيع النبوي عام ١١٠٢. وفي مدة الاثنى عشر يوماً، كان يرد علينا من قبل الطاغية الكندي الموكل بنا وقيّم الدار واعيان آخرون صباحاً ومساء نائبين عن عظيمهم في السلام ويقولون انه اراد استراحتكم من تعب الطريق وهو يتهيأ لملاقاتكم ويستعد لدخولكم عليه استعداداً كثيراً ويتأهب تأهباً كبيراً. وحين كملت الاثني عشر يوماً قدم علينا الكندي الموكل بنا يعلمنا بتهيء عظيمه للملاقات وبدأ يستفهمنا عن حال سلامنا لنخبره به قبل دخولنا عليه لكونه لم يتقدم له قبل ملاقات مع احد من اهل ملتنا اعزها الله تعالى، فاخبرناه بسلامنا من بعضنا على بعض وسلامنا على غير اهل ديننا وانه قول: السلام على من اتّبع الهدى. من غير زيادة عليها.

فانصرف عنا مخبراً له بذلك فقضى العجب من السلام الذي اخبره به من كونه لم يعتد ذلك، ولم يمكنه الا قبوله حيث عرف تصميمنا على ذلك وعزمنا عليه من غير زيادة، فانقلب الكندي المذكور وبيده ورقة مكتوب فيها صفة الدخول من بالباب من المعينين للقائنا ومن امامهم لنكون على بصيرة في امرهم وقال انه يلقاكم الميوردوم (١) ومعناه الوكيل عند الباب الفلاني ومعه من الاعيان كذا وكذا ومعه من الشلظاظ اهل

---

(١) وفي مخطوطة (م): الميردوم (1) Mayordomo

الوَردية (١) كذا وكذا وبالباب الفلاني كذا وكذا وسيلقاكم عند الباب الفلاني الاعيان من الدوكيس وامثالهم .

ومن الغد ورد علينا في وقت معلوم بعد ان تهيأ عظيمه الملاقات وقصد بنا اليه فوجدنا اهل المدينة وقد اجتمعوا كلهم نساء ورجالاً فلم نصل دار الطاغيه الاَّ بعد جهد وعناء لكثره ما اجتمع من الخلق . فحين قربنا من الباب لقينا الوكيل الميوردوم ومعه من معه من الاعيان والشلظاظ فسلم ورحّب ودخل بنا الدار ويسمونها البلاصيو ومعناه المشور فجعلنا نمر بالجماعات من الاعيان والاكابر فيسلمون ويقف كل عند حده المعلوم الى ان دخلنا قبة كبيرة لقينا ببابها كاتب الديوان الكبير وهو رجل كبير السن بلغ منه الكبر الى ان انحنى فلقينا احسن الملاقات ومعه جماعة من الدوكيس والكنديس ودخل بنا قبة اخرى لها باب ومن هذه القبة وجدنا الطاغية واقفاً على قدميه وقد جعل في عنقه سلسلة من ذهب وتلك هي عوائد ملوك العجم اذ هي عندهم بمثابة التاج وعن يمينه طبلة من ذهب مرصعة اعدّها وصنعها ايام مقامنا بعد وصولنا ليجعل عليها البراءة السلطانية اجلالاً وتعظيماً لمرسلها اعزه الله تعالى ، وعن يمين الطبلة وزير لديه يسمى القندي اسطابلي (٢) وهو وزيره الذي بيده اخراج والداخل والنظر في الدار وفي جميع امور الطاغية الخاصة به وبعياله وداره وهو من اعيان اهل الديوان وعن يمين الوزير المذكور زوجة الطاغية ومعها من الخامات (٣) وبنات الاكابر عدد كثير وعن يسار الطاغية وزراء آخرون . فحين دخلنا عليه رحب وهشّ وبشّ ولم يقصر في الترحيب والاكرام وسأل عن سيدنا المنصور بالله تعالى سؤالاً كثيراً ، وحين ذكره ازال

---

(١) يقصد بها لفظة اسبانية : كوارْديا Guardia ومعناها الحرس

(٢) الكنديسطابلي (2) Condestable

(٣) الخامات يقصد بها جمع خاما Dama وهي السيدة

شمريره من على رأسه اجلالاً وتكريماً، فقلنا له: بخير يحمد الله تعالى. وناولناه الكتاب المبارك السلطاني بعد تقبيله ووضعه على الرأس فتناوله بيده وقبله وجعله على الطبلة المعدة له بعد ان رفع ايناً ما على رأسه.

ثم انه بدأ يستفهمنا عن احوالنا في الطريق وما لقينا من تعب ومشقة، فقلنا له خيراً وجازيناه على فعله وعلى فعل خدّامه الذين تلقونا في طريقنا، ففرح بذلك واعجبه. وبعد ان مربنا الكلام قال: الحمد لله على سلامتكم وسنعيد الكلام فيما اتيتم لاجله في وقت آخر. فخرجنا من عنده وخرج معنا من كان معه للتشييع قاصدين محل نزولنا وموضع مقامنا.

* * *

والطاغية هذا هو رجل صغير السن له نحو ثلاثين عاماً وهو ابيض اللون قصير القامة وجهه مائل الى الطول واسع الجبهة يسمى (١) كرلوس سكوندُ (٢) ومعنى سوكوندُ الثاني ويعنون به ثاني اسم كرلوس من سلفه واصله من افلانضس بلاد الفلامنك، وليس هو من نسل طواغي اسبانيا الذين حاربوا المسلمين وتغلبوا على البلاد الاندلسية وقشتالة وغيرها من هذه البلاد. دمر الله جميعهم واخلى منهم الارض وعمرها بدوام ذكره وتوحيده، وذلك ان طاغية من الطواغي الاول واسمه فرنندُ سانطو (٣) الذي تغلب على غرناطة ومن بقي باحوازها من المسلمين، كان قاطناً بقاعدة اشبيلية اعادها الله دار اسلام.

---

(١) وفي مخطوطة مدريد: واسمه

(٢) وفي مخطوطة مدريد: شكوندُ

(٣) سان فرنندُ (s) San Fernando

ولما مات هذا الطاغية خلف ولداً يسمى فرنندُ باسم والده ويلقب كاطولِكُ ملك بعد والده سنين قليلة ومات ولم يخلف ولداً ذكراً، فملكت بعده زوجته زابيل (١) ابنة ملك راغون، وراغون هي قاعدة من قواعد مدن هذه العدوة ودار ملك. وقد اقامت في ملكها سنين، وكانت تخرج وتدخل وتركب الفرس وتركض وتتصرف بالرجال.

*
* *

وفي عهدها وزمانها اكتشف بعض رؤساء البحر من جنس اسبانيا بلاداً من الهند الذي بيدهم اليوم (٢) ورأى اهلها فوضى وهم بمثابة الدواب ولا عدة لهم وانما كانت عدتهم العيدان يركبون فيها حجراً من حجر الزناد ويقاتلون بها. فحين رأهم على تلك الحالة وعرف ماهم عليه من الغرة والبلادة، رجع الى اسبانيا مخبراً للملكة زابيل بذلك، فجهزت له ثلاثة مراكب واصحبت معه خويلة ومدافع فقصد ذلك الموضع الذي عيّنه فنزله. فحاربه اهل تلك البلاد فغلبهم وملكهم وقبض على ملكهم ولم يزالوا يملكون في الهند بلداناً كثيرة واقاليم متسعة يجلبون منها كل سنة ما يغنيهم. وبحصول هذه البلاد الهندية ومنفعتها وكثرة الاموال التي تجلب منها صار هذا الجنس الاسبنيولي اليوم اكثر النصارى مالاً واقوهم مدخولاً، الاّ ان الترف (٣) والحضارة غلبت عليهم، فقلما تجد احداً من هذا الجنس يتاجر او يسافر البلدان بقصد التجارة كعادة غيرهم من اجناس النصارى مثل الفلامنكُ والانجليز والفرنسيس والجنويين وامثالهم،

---

(١) ازابيل Isabel

(٢) يريد اكتشاف اميركا: ورئيس البحر يقصد به كريستوف كولمبس.

(٣) وفي مخطوطة تطوان: الترقي

وكذلك المهنة (١) التي يتداولها السقطة والرعاع واراذل القوم يتأبى عنها هذا الجنس ويرى لنفسه فضيلة على غيره من الاجناس المسيحيين.

واكثر من يستعمل هذه الحرف المهينة في بلاد اسبانيا جنس الفرنسيس وذلك حيث كانت بلادهم ضيقة المعاش والارزاق صاروا ينتقلون في بلاد اسبانيا بقصد الخدمة واقتناء المال وجمعه، ففي ايام قلائل يجمع اموالاً جمة، ومنهم من يرغب عن بلاده ويستوطن بهذه البلاد وان كانت غالية الاسعار فان موردها كثير وجل هذه الجنس يعد نفسه من اتباع المخزن (٢) او من الجيش ويرع نفسه عن خدمة الصناعة او عن السبب والتجارة رجاء ان يعدّ من الكبار او يورثها لخلفه ان لم يدركها.

فان من عوائدهم دمرهم الله ان جميع اهل الصناعات والحرف والتجارة لا يركب في الحاضرة التي بها الطاغية كدشاً، واذا احب احد منهم الكبيرة او التقرب من المخزن ليعد من اتباعه يترك هذه الاسباب الذي يعيّر بها من الحرف رجاء ان يلحقها عقبه من بعده. واما هو في خاصة نفسه فلا يدركها ولو سعى فيها ما سعى، الاّ اذا كان تاجراً ذامال كثير من التجار الذين لا يرفعون ميزاناً ولا يجلسون في دكان مثل التجار الكبار الذين لهم المتاجر العظيمة والاموال الجسيمة التي اغنتهم عن البيع والشراء في الحوانيت والاسواق. فان هذا يلحق الكبيرة مع تركه للتجارة وعدم التفاته اليها اصلاً.

والكبيرة عندهم هوان يعمل على كتفه صليباً في ثوبه برقم معلوم عندهم وهي درجة كبيرة لا يدركها الاّ من له قدم في النصرانية ويعد لنفسه فيها سبعة اجداد باشهاد من نصارى كل زمان وانهم يعرفون اباه وجده وسمعوا من غيرهم ومن كبار سنهم ان فلاناً من ذرية فلان هو نصراني ابن نصراني الى السابع من اجداده.

---

(١) وفي مخطوطة (م): الحرفة

(٢) المخزن: اصطلاح وضعي مغربي يراد به الحكومة

ليس في احد منهم لمز ولا شائبة ولا تهمة يهودية او غيرها ممن هو ليس بمسيحي.

فحينئذ يؤمر بوضع الصليب على كتفه بعد ان يعطي عليه اموالاً لاهل الديوان وبعدهم للفرايلية الذين يعطونه الأذن فيه ايضاً ويكون على مذهبهم وطريقتهم الضالة، وهذه العلامة الصليبية لا يلحقها كما قدمنا الاّ من لهم عراقة اصل في النصرانية او الذين هم من جنس الاندلس وكانوا اكابر قومهم وتنصروا لاغراضهم فاعطوا حينئذ تلك العلامة وهي دالة على عراقتهم في الاصالة لعهد اسلامهم وعلامة على كبيرتهم في هذا الدين الفاسد والعياذ بالله.

*
* *

ولنرجع الى ذكر التعريف بهذا الطاغية ونذكر سلفه ومن اين حصل له ملك اسبانيا وغيرها كبلاد افلانضس وسائر عمالته التي تحت ولايته، فهو: كارلوص ٢ سكوندُ بن فيلب ٤ كوارطُ بن فيلب ٣ طرسيرو بن فيلب ٢ سكوندُ بن كرلوص كينطو بن فيلب الموصو وهذا هو كندي عظيم من اهل افلانضس له بها ذكر وصيت وولاية. وحين توفي فرناندُ كاطوليكُ القاطن باشبيلية كما قدمنا ذكره ولم يخلف ولداً ذكراً يلي ملك ابناء جنسه من بعده ملكت بعده زوجته زابيل، وكان لزابيل هذه ابنة تسمى كوانا زوجتها زابيل من كندي فلانضس المسمى فليب الموصو، ومعنى الموصو عندهم الشاب الحسن اذ كان يضرب به المثل عندهم في عصره لحسنه وجماله فصار بسبب ذلك علماً عليه الموص(١).

ولما ماتت الملكة زابيل وكانت ابنتها من الملك فيرناندُ متزوجة في فلانضس بعثوا

---

(١) فليب ارموصو — (1) Felipe el Hermoso

اليها اترث ملك سلفها. فقدمت ببعلها فلب الموصو ولها منه ولد صغير يسمى كرلوص كينطو (الخامس) ويعنون به خامس اسم كرلوص باعتبار من تقدم من سلفه فسمي بهذا الاسم وهو اول اسم ملوك اسبانيا من هذا النسل.

وباعتبار اوليته يلقب حفيد حفيده بشكوندُ الذي معناه الثاني.

فملكت ابنة فرناندُ ملك اسبانية مع بعلها ونشأ ولدها كرلوص كينطو هذا داهية طاغية من طواغي الكفرة ذا باس ومكر ودهاء وخبث، لم يوطن نفسه منذ نشأ وترعرع وكبر وفطن عن دعة ولا راحة الى ان ملك وحكم، فتقدم الى تمهيد البلدان وتدويخها في جميع اقطار بلاد الكفرة المسيحية وسافر وحرك وساق الجيوش والمحال براً وبحراً، فلقد حسبوا سفراته البحرية فكانت تنيف على عشرين مرة.

وهو الذي تقدم الي الجزائر بعمارة كبيرة من السفن والاغربة تنيف على ثلاث مائة مركب وقد حمل معه في مراكبه آلات البناء واقامته من جير واحجار وفعلة وعملة وارسى عليها ليلاً، فلم يرعهم (١) حين اصبح الحال الاَّ وبرج مطل عليهم في غاية التوثيق والتحصين وقد نصب عليه المدافع والانفاض.

وصار يهدم بذلك جدرانهم ويخرب حيطانهم وديارهم واسوارهم وهم في غاية الضيق والمحنة وقد اشرف على اخذهم، فابى الله سبحانه الا نصر دينه القويم ليظهره على الاديان كلها، فهاج البحر وتلاطمت امواجه ففرقت جميع مراكبه التي قدم بها، فلم ينج الطاغية الاَّ في سبعة مراكب بما حملت من القوم، وقاسى في البحر الشدائد.

فهنالك ذكروا انه قلع تاجه عن رأسه ورمى به الى البحر وقال: من اراد ان يلبس التاج فليقدم الى الجزائر يأخذها. وافلت هو ومن حملته المراكب السبعة التي افلتت.

---

(١) وفي مخطوطة (١) فلم يروا

وكرلوص كينطو هـذا هو الذي حاصر تونس ايضاً في سفرتـه هـذه التي حاصر فيها الجزائر.

والبرج الذي بناه على الجزائر هو البرج المعروف عندهـم اليوم ببرج مولاي حسن وهو باق الى الآن في غاية الاتقان والبناء ومشرف على المدينة قريب منها على قدر رمية مدفع وهو عن يمين الخارج من باب عزون.

ولقد دوخ هذا الطاغية اقطاراً من بلاد الاندلسية وغيرها من بلاد افرنسا والمانيا وبلينسية وغيرها وهو الذي قدمنا ذكره اذ حارب ملك الفرنسيس واسره واتى به الى مدريـد واطلقه بعد ذلك بفداء.

وكان من خبر هـذا الطاغية انه لما ملك جميع هذه النواحي من بلاد العدوة الى ان ملك المانية وكبر وكان له ولد يسمى فليب سوكوندُ ومعناه الثاني من هذا الاسم باعتبار جده الكندي القادم من فلانض ولاّه ملك اسبانيا وفلانض وميلان، وكان لكرلوص اخ يسمى فرناندُ ولاّه المانيا ولقبه بالانبرادور ومن نسله هذا الطاغية الموجود اليوم اهلكه الله، وحين ولّى ولده واخـاه، ترهّب ودخـل كنيسة الفرانسيسكانية وصار من جملتهم وواحداً منهم.

زعم انه تزهـد وترهب في مدينة تسمى بلاصنصيا مـن عمالة قشتالة على اربعة وخمسين ميـلاً من مدينة مدريـد وزوجته زابيل كانت قبل ترهبه. وهي ابنة ملك البرتقال اخت سباستيان الخارج الى برنا صحبة مستصرخه ولد مولاي عبد الله.

ولما ملك فليب ٢ سكوندو هذا كان طاغية من اخبث اهل زمانه وحرك ايضاً الى البلدان وحاصر قاعدة من قواعد مدن الفرنسيس ونصب عليها المدافع والانفاض رجاء ان يهدمها فزعموا ان كنيسة بالمدينـة التي كان حاصرها تنسب الى راهـب يسمى

لورينصو (١) حالت بين المدينة وبين رماية المدافع ولم يحدث في المدينة شيئاً، فحين طال حصاره عليها ولم يكن بداً من هدم هذه الكنيسة المانعة له من ان يصيب المدينة، نذر ان يبني كنيسة اخرى اعظم منها وينسبها الى اسم لورينصو هذا، فنصب المدافع قبالة الكنيسة وهدمها واصاب منها المدينة: وحين رجع بني الكنيسة التي نذر على نفسه بناءها وهي المسماة عندهم بالاسكوريال، والاسكوريال هذا هو في سفح الجبل القريب من مدريد وهو من البناءات الهائلة وسنذكر وصفه في محله ان شاء الله.

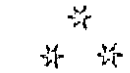

وفيليب سكوندو هذا فيما زعموا انه كان اجتمع بخاله سيباستيان(٢) طاغية البرتغال الذي خرج الى بلاد الغرب في عهد السلطان مولاي عبد الملك ابن السلطان مولاي محمد الشيخ صحبة مستصرخه ولد مولاي عبد الله. وكان فليب هـذا لما سمع بخبر خروج خاله الى بر المسلمين تقدم اليه وتكلم معه في ذلك، فاشار عليه بالجلوس وان لا يتعب ويورط نفسه في بلاد الغرب ويدافعه بما امكن ولا يحمل نفسه على صرخته لعـدم معرفته بالبلاد ولخروجه عـن وطنه الى وطن آخر ليس هو لـه ولا قـدرة لـه على مقاومـة المسلمين اذ ذاك لوجود الملك بالمغرب.

وزعموا ان المستصرخ (٣) كان يستظهر له برسائل من بعض قبائل المغرب وانهم من حيزه وحزبه. فأبى مع ذلك طاغية البرتغال الاّ تمادياً على رأيـه ولـم ينصت

---

(١) سان اورنصو — San Lorenzo

(٢) ضون سبستيان ملك البرتغال — Don Sebastián

(٣) يقصد به محمد ولد مولاي عبد الله

لنصيحة ابن اخته ولا الى قوله، فقدّر الله تعالى للمسلمين في خروجه ذلك غزوة عظيمة لم يعهد بمثلها منذ زمن بعيد، وفي يوم هذه الغزوة المباركة توفي السلطان عبد الملك بمرض كان لزمه في طريقه حين ذهابه لقتال النصارى حين سمع بخروجهم.

والنصارى يذكرون شجاعته وقوته ويقولون انه كان يقاتل بسيفه مع مرضه الى ان غلبه المرض ومُنع من القوة الحاملة له على القتال فمات رحمه الله.

وفي ذلك اليوم مات ولد اخيه محمد بن عبد الله قتيلًا وقتل سابا ستيان ومات جميع من كان معه من النصارى ولم يفلت منهم الا النزر القليل الذي لا يعد لنزره ولقلته، وكان عدد النصارى على ما هو معروف عندنا ثمانين الفاً.

والنصارى يزعمون ان مبلغ الجيش الذي كان مع سابا ستيان في خروجه ذلك ثمانية عشر الفاً:

فمن جنس البرتغال اثنا عشر الفاً ومن الانجليز ثلاثة الاف اتوه مدة الصلح والمهادنة التي كانت بينه وبينهم، ومن اسبانيول ثلاثة آلاف امده بها ابن اخته فليب سكوندو.

والصحيح ما هو مقرر عند المسلمين من العدد المذكور، وبسبب عدم قبول طاغية البرتغال نصيحة ابن اخته وتوريطه نفسه في بلاد الغرب ينسبونه الى الحمق وخفة العقل. وتلك المنزوة المباركة هي سبب ضعف الجنس البرتغالي الى اليوم دمره الله.

وحين قتل سابا ستيان ووقع في جنس البرتغال ما وقع لم يكن لطاغيتهم ولد يلي الملك من بعده وكان له فيما يزعمون اخوان احدهما كردينال والآخر ولي بعده اياماً قلائل ومات من غير عقب، فحين انقطع نسل ملوكهم بموت هاذين ورث فليب سوكوندو ملك البرتغال من جهة امه زابيل على طريقة قوانينهم ومذاهبهم في وراثة الملك للمرأة اذا لم يكن ذكر.

وفي زمن فليب سكوندُو هذا ثار من بقي من جنس الاندلس بعد تغلب النصارى عليهم بغرناطة واحوازها، اذ كانوا سمعوا بورود مراكب من الجزائر التي اتى بها حبيب رايس(١) ونزل بجوار أَلمرْية، ظناً منهم انه يمنعهم، فحمل من قدر عليه في مراكبه من اهل المرية وما والاها وعبر الى بلاده، فعجز الثوار من الاندلس حينئذٍ عن مقاومة النصارى فاوقعوا فيهم السيف وتنصر من تنصر منهم رغماً بعد ما هرب من هرب(٢).

وبقوا على ذلك نحواً من اربعين سنة الى زمن فليب طرسيرو ولد فليب سكوندو وهم على حالهم من التنصر والتغلب عليهم.

فزعموا ان ملك الترك كتب حينئذٍ كتاباً الى وزير فليب طرسيرو يطلب منه ان يتسبب في اخراج من بهذه العدوة من بقايا الجنس الذي غلب عليه ويتخذ عنده بذلك يداً وصحبة، فاحتال الوزير بأن اشار على مخدومه باخراج البقايا من الاندلس الذين بينهم وبين دينهم عهد قليل وما زالوا الى الآن جلهم في قيد الحياة وعددهم هو اكثر من عدد النصارى: فاننا لا نأمن(٣) من ثورتهم مرة أخرى، فالاولى ان يجلوا من هذه العدوة وتحسم مادتهم ويعبر بهم البحر ليتفرقوا في البلاد البربرية، وبقاؤهم في بلادهم التي ربوا فيها محذور. فقبل الطاغية من وزيره ما اشار به عليه وامر بجمعهم وعبورهم البحر الاَّ من كان تنصر بغرضه وهم اكثر عدداً ممن تنصر رغماً او اختفى تحت احد وامتنع باحد ولم يعلم به، وعلى كل حال فحيث كانوا عدداً كبيراً لم يكن الاستقصاء

---

(١) وفي مخطوطة ١ جبيب رايس

(٢) يقصد الثورة التي قام بها ابن حميّا، واسمه الحقيقي فرنندُو دي فلور وكان رئيس عرب غرناطة عند ما اهاجوا ثورة على الملك فليب الثاني

(2) Aben-Humeya (Fernando de Valor)

(٣) وفي مخطوطة ١: ولا نأمن

في تفتيشهم في جميع العدوة للاختلاطهم ونسيانهم الاسلام، وجل الخارجين في ذلك العهد من العدوة اهل غرناطة واحوازها من الثائرين وكانوا عدداً كثيراً. والنصارى بسبب اشارة الوزير على عظيمه باخراج من خرج بعد تنصرهم ودخولهم دين النصرانية يلمزونه باليهودية لعدم نصحه لدينهم باخراج هذا العدد بعد ان حسبوا نصارى، ولمز بعض النصارى باليهودية كثير، وبسبب ذلك لهم بمدريد ديوان فيه من علماء ملتهم عدد كثير وكلهم من ذوي البين الكثيرة، يسمون ديوانهم الانكِسِشيون (١) يبحثون عمن فيه لمزمن يهودية ولو بادنى ادنى سبب فيقبضون عليه ويجعلونه في السجن بعد ان يأخذوا ماله وجميع امتعته وذخائره فيقتسمونها بينهم من حينه ويتركونه في السجن سنة ثم يسألونه حينئذٍ عما هو ملموز به فاذا انكر يقولون له علامة صدقك هو ان تخبر عمن وشى بك او اتهمك، فيعد لهم واحداً واحداً الى الثالث فاذا كان الواشي الذي وشى به احد الثلاثة الذين سمّاهم ويقول ان فلانا كان بيني وبينه عداوة في زمن كذا من اجل كذا وصدق فيه ظنه وتوهمه يجد بيده حجة للخصام والذب عن نفسه فيطول خصامه مع هذا الديوان الى ان يتناسى ما نسب اليه، ويريد مع ذلك خلاص نفسه فقط فهنالك يخرج.

وان ثبت عليه ما اتهم به او اقرّ على نفس، يلزمونه الخروج عن دين اليهودية والدخول في دين النصرانية، فان هو رجع عنها ودخل دين النصرانية يخرجونه ويطوفونه ويعرفون به في الاسواق ويجعلون له على كتفه صليباً اصفر يكون ذلك اللون هو اشارة كونه من اليهود وعلامة على تنصره فيبقى بذلك الصليب ستة اشهر ويزيله، فيصير حينئذٍ من جملة النصارى، وان هو اقرّ على نفسه باليهودية او ثبتت عليه باشهاد ولم يرجع عن اعتقاده يحرقونه بالنار من غير قبول شفاعة فيه، وذلك هو السبب في عدم

---

(١) الانكسيشيون: هو ديوان التفتيش المشهور (1) La Santa Inquisición

دخول اليهود سائر بلاد اسبانيا والبرتقال، وهـذا الديوان المذكور هو المعيّن للبحث عن هذه المسئلة واشباهها ممن يطعن في دينهم او يشتمون عليه رائحة شيء مما يعيبه، ولا يقدر احد على الطعن فيهم او يلزمهم بباطل او شهوة فيجدون عليه سبباً والوثوب عليه سلماً.

ولا يقدر احد على فكاك احد من ايديهم ولو كان الملك بنفسه، واذا لمز احد بشيء من ذلك ودخل تحت جناح الملك محترماً به لا يقدر الملك على احترامه ولا على منعه منهم حتى اذا كان وزيراً من وزرائه او من خدامه او قواده وشموا عليه رائحة من ذلك يقبضون عليه اينما وجدوه سواء مع الملك اوفي كنيسة او في غيرها.

ولقد اتهموا ايام مقامنا بمدريد احد خواص الطاغية ووزرائه باليهوديـه فقبضوا عليه وسجنوه بطايطلة وهو باق الى الآن. وكذلك ايضاً اتهموا رجلًا آخر ونحن بمدريد كان قيماً للطاغية على محصول مـن محصولاته فوثبوا عليه وعلى زوجته واولاده وجميع عياله وحشمه وسجنوا جميعهم وأخذوا مالـه وجميع ما احتوى عليه داره من امتعته، وهم الآن في السجن وكان له مال كثير. ومن اهل هذا الديوان رجـل من عند البابا الذي برومة يأتي بقصد النيابة عنه في هذا وما يشبهه ويسمونه في لسانهم النوسيو (١).

والمتهمون باليهودية من هذه الاجناس كثيرون واكثرهم من جنس البرتقال وجلهم كانوا من اليهود سكان هذه البلاد على عهد الاندلس بعهدهـم وذمتهم فانحازوا عند التغلب على المسلمين الى ناحيـة بـلاد البرتقال واختفوا بالنصرانيـة هنالك، وبالبلاد البرتقالية منهم فيما يقال عدد كثير اكثرهم من الجنس الاسبانيولي.

* * *

(١) النونسيو: ممثل البابا، قاصد رسولي (1) Nuncio de S. S.

وحين مات فليب طرسيرو المتقدم الذكر وكان في عهده قد خرج من بقي بهذه البلاد من بقايا الجنس الاندلسي، وولي بعده فليب كوارطو ومعناه الرابع من اسم فليب، وكان داهية طاغية من طواغي الكفرة دمرهم الله، ولعهده كان ثار جنس البرتقال ودعوا الى التملك عليهم رجلاً كان يدعى الدوقي بركانصا (١).

وهو والد طاغية البرتقال اليوم، وكانت له زوجة اخت دوكي عظماء اسبانيا له قدم في الكبيرة يسمّى دوكي مدينة صيدونية ويزعمون ان جدّه دون ألونصو دي قزمان كان كبير مدينة طريف حين دخول طارق رحمه الله الى العدوة، وما زالوا الى الآن يلقبون بلقب قزمان.

فحين الزاموا اهل البرتقال دوكي براكانصا بالتملك عليهم، شاور زوجته فيما دعي اليه فأشارت عليه بقبول ذلك وقالت له: مَلِكٌ ليلة واحدة احسن ومن بقائك دوكاً خمسين سنة. فقبل ذلك منهم.

وكان له في ذلك اتفاق مع اخي زوجته وهو اذ ذاك ساكن بمدينة سان لوكار، وفيما بين سان لوكار وبلاد البرتغال مدينة تسمّى أيا مُنطي بها مركيز عظيم من اعيان اهل اسبانيا يُلقب بمركيز أيا مُونطي دخل معهما في الاتفاق، ودخل حزبهم ايضاً دوكي آخر يعرف بدوكي ايخر.

وكان كل منهم يراد التملك والدعوة لنفسه، فاحسّ بهم فِليب كوارطو فاستدعى هؤلاء الثلاثة الذين هم من خدّامه واهل عمالته، وبعثهم الى مادريد قبل ان يعلموا بما نمي اليه من خبرهم.

فجعل يعذبهم بانواع العذاب ويقررهم، فانه كان قد اتصل ببعض رسائل من بعضهم لبعض تدل على ما ازمعوا عليه.

---

(١) دوكي دي براكنصا — (1) Duque de Braganza

فامّا دوكي مدينة صيدونية فاقرّ سريعاً، وكانت بينه وبين الطاغية محبة، فمقته ونفاه الى مدينة تسمّى بِلْيَادوليد وعزله عن ولايته وعمالته اذ كان هو القبطان على كوشطة البحر كلها الموالية لبرنا حرسه الله.

وامّا الآخران فعذبهما عذاباً شديداً فلم يقرّا، فاخرجهما ومن كان مطلعاً عليهم من خدامهما وخدام دوكي صيدونية الى بلاصة مادريد وقتلهم جميعاً.

فثارت الحرب حينئذٍ بين البرتغال وبين طاغية اسبانيا نحواً من ستة وعشرين سنة الى ان خمدت بموت فِليب كوارطو، وكانت وفاته في سنة ست وستين وستة عشر ماية بتاريخهم المسيحي وبتاريخنا عام سبعة وسبعين والف.

وخلص حينئذٍ ملك البرتغال اليهم وكان لفليب كوارطو طاغية اسبانيا عدة اولاد لكنهم لم يرثوا الملك في قوانينهم لانهم غيرشرعيين وله زوجة هي ابنة عم الانبرادور من المانيا كان جلبها بقصد ولد له اراد تزويجه، فعند وصولها مدريد مات ولده الذي اراد تزويجه ثم ماتت زوجته هو.

فحين بلغت خطبها لنفسه وتزوجها فولدت له ابنه كرلوص سكوندو هذا الطاغية المملك اليوم، وحين مات فليب كوارطو ترك ولده صغيراً فملكت أُمه، وكان من خبر اولاده الآخرين الذين ليس لهم ميراث في الملك ان ترهب جلهم، ومنهم الراهب مفتي مالقة ويسمونه بلسانهم السوبيسبُ (١) ومعناه المفتي وكان من اولاده آخر يسمى كوان اوسطريا(٢) برز ونجم وظهر عندهم في الشجاعة والرأي والدهاء، وكان يلي الحروب ويتقدم الى الشرور والفتن ويعيي المحال مدة تملك زوجة والده وفي حال صغر اخيه لابيه وحيث ظهر وبرز لم يدع لاحد قولاً ولا رأياً وصار يحدث لهم

---

(١) الاوبيسبو Obispo هو الاسقف والارسوبيسبو Arzobispo وهو رئيس اساقفة

(٢) ضون خوان دي اوستريا (2) Don Juan de Austria.

احكاماً ويفعل لهم فعالاً لم يكونوا يعرفونها فيما تقدم وكان يضرب على يد اهل الديوان وعلى يد الملكة زوجة والده وكان يقول انما اتصرف لاخي الى ان يكبر وانما انا احد خدامه، فتوهم منه اهل الديوان والمملكة توهماً كبيراً فلم يشكوا مع ذلك انه يريد الملك ويدعي لنفسه.

وكان الملكة رجل يسمى الدويندي (١) اختص بالتصرف لها، فانكر عليه ذلك وعاتبها، فقبض عليه وسجنه في برج منيع في اعلى ربوة من الارض مطل على قرية تسمى سويقرا بينها وبين طليطلة على طريق الآتي منها الى الاندلسية ثمانية عشر ميلاً، وهذا البرج في غاية المناعة والتحصن من عهد المسلمين، ولعلو هذا البرج يشرف على بلاد كثيرة ومداشر وقرى من عمالة طليطلة، ولهذا البرج سوران شاهقان وفي داخله كنيسة كبيرة يعمرها عدد قليل من الفرايلية، ولقد دخلت هذا البرج فرأيت له اثر في توثيق البناء والتحصن ما يدل على اعتناء صانعيه لذلك العهد رحمهم الله.

* * *

وحين سجن الدويندي بهذا الموضع المذكور امر ان لا يخرج منه ابداً. وصار خوان ينظر في اهل الديوان وماهم عليه فجعل يتطلع احكامهم وينظر شوراهم واراءهم وما يزمعون عليه، فيستجيد ما يراه لائقاً ويرد ما يراه مزيفاً وينقص للقوم من مراتبهم وارزاقهم ويقول لهم: لم يستحق هذا ان يأخذ هذا وعلى م هذا، يأكل جميع هذا، الى ان انكر على الملكة نفسها ما كانت تصرفه في ضروريا تها، الى ان بلغ اخوه اربعة عشر سنة فاخذه يوماً ومضى به الى ملكة (٢) راغون والبسه التاج واتى به الى مدريد وجعل يتصرف له نائباً عنه بمثابة الخديم

---

(١) هو الاب نيطارد اليسوعي مرشد الملكة (٢) وفي مخطوطة ١: الى مملكة

وما زال يغلب على ام اخيه الى ان نفاها من مدريد الى مدينة طليطلة فاستقرت هنالك عاما واحداً ونصف عام.

ثم مات كوان اوسطريا فرجعت الملكة الى مقرها وأُخرج الدويندي المسجون وتوجه الى بلاد من بلاد الهند وهو اليوم باق بها لهذا العهد وله هنالك ولاية كبيرة.

وكبر كرلوص سكوندو هذا مع الديوان وتزوج ابنة عظيم الفرنسيس وماتت عنده من غير عقب، فتزوج بعدها ابنة خالته اخت امه وهي ابنة عم الامبرادور الذي بالمانيا ولترويجه معها الآن سنة، والى الآن لم يولد له.

وهذا الطاغية لم يتقدم الى موضع من المواضع ولا صحب محلة ولا برز الى حرب وهو من الحضارة بمكان، لا يركب فرساً ولا غيره وانما يركب دائما في كدش مع زوجته في غالب الايام وله خروج الى متصيداته في كدشه، ويقصد الكنائس دائماً ويتعبد بجميع متعبداتهم.

وحين انفصلنا عنه يوم ملاقاتنا معه وناولناه الكتاب السلطاني دفعه الى النصراني الحلبي المترجم ليترجمه ويعجمه، فلما عجم الكتاب ورأى ما فيه وما اشار به عليه اميير المؤمنين ايده الله من اعطاء خمسة الآف كتاب وخمس مائة اسير ثقلت عليه الوطأة العلوية ولم يدر كيف يتلقى هذه الاشارة وعرف انها عزمة من الملك نصره الله ولم يمكنه الآ الاضطراب لما اشرب في قلبه وقلب اهل ديوانه من صيت هذه الامامة العلوية وعلو همتها ابقاه الله بمنه، ووقعت المشورة منه في ذلك مع اهل ديوانه فرأوا ان الاجابة الى ما دعاهم اليه المولى الامام والامتثال لامره المطاع اعزه الله تعالى اولى لهم واوفق وتشاوروا في ذالك اياماً عديدة وكانت لنا معه ملاقات بقصد الرؤية حين يدعون اليها وبعد تدوينهم في الأمر السلطاني وزعمهم حرق الكتب الاسلامية فيما يذكر

ببلاد اسبانيا قدّموا للكلام معنا في ذلك كاتب الديوان الكبير والكردينال الذي هو رأس دينهم وهو خليفة البابا الذي برومة واليه ينتهي امر دينهم وشيوانهم .

وحيث كان المولى الامام ادام الله وايده جعل لهم في كتابه الشريف فسحة : ان عدموا وجود الكتب او تعذر حالها يجعلون عوضها كمال الف اسير من المسلمين، وحاولوا ترك بعض الاف فلم يجدوا له مجالاً ولم يمكنهم الاّ المساعفة بالامتثال .

وحين قبل منهم المولى الامام المنصور نصره الله ذلك اشتغلوا بالبحث عن الاسارى وجمعهم، وكان الطاغية في خلال تلك المدة التي كان يوجه الى الافاق بقصد جمع المسلمين يتعاهدنا ويبحث عن احوالنا ويأمر بخروجنا الى متنزهاته ومتصيداته وبدخولنا الى داره ورؤية ما فيها من المساكن والبيوت والبساتين، يريد تأنيسنا بذلك، ولم يدع بمدريد داراً كبيرة من اعيان خدامه وخاصته الاّ رأيناها ورأينا ما لهم من البساتين والمتنزهات، وحين نلقاه يظهر بشراً وسروراً برؤيتنا ولا يقصر في الاكرام واظهار الترحيب مدة مقامنا عنده .

وبمدينة مدريد من المتنزهات عدد كثير فان للطاغية بها داراً كبيرة يسمونها الرطير(١) هي دار سكناه في الصيف : مشتملة على بستان بديع الشكل غاية في حسن جداوله وانهاره، وبوسط هذا البستان واد كبير مبني الجوانب احسن بناء وبجانبي الوادي قباب مبنية احسن بناء للاستظلال في الصيف وبه زوارق ومراكب يركبها الطاغية في تنزه ذلك .

وهذا الوادي يكثر فيه الجليد في زمن البرد حتى يمر عليه الانسان، فتجد النصارى يمرون على الجليد بصنعة، غير ان اكثر من يمر على الجليد لهم بذلك خبرة من يكون من جنس الفلامنك والانجليز وذلك حيث كانت بلادهم في ناحية

(١) الرطيرو

(1) El Retiro.

الشمال يكثر فيها الثلج والجليد في جميع المواضع لاسيما الاودية، فقد زعموا ان نساء الفلامنك يمررنَ على الجليد بان يجعلن لنعالهن صفائح من حديد ويقصدنَ بلاداً بعيدة صبيحة النهار بقصد التسبب والبيع والشراء ومن المساء يرجعنَ الى مقرهنَّ.

ولقد رأيت البعض من النصارى يمرون على الجليد بهذا الوادي: بأن يقف الرجل على رجل واحدة ويرفع رجله الاخرى ويقيم(١) نفسه مستقيماً بحيث لا يميل شقه الى احد الجانبين فيمر كالبرق (٢).

وهذا الوادي يدخله في زمن الجليد كثير من الناس بقصد الرؤية والتنزه فتجد به من النصارى والاكداش(٣) المشحونة بالنساء والرجال ما يضيق بهم البستان المذكور، فاذا كان زمن المصيف ووقت سكنى الطاغية به لا يدخله الآ من يكون معتاداً الدخول.

وبهذا البستان ساريتان من رخام عريضة عليها صورة فرس كبير من نحاس احمر والفرس واقف على رجليه الاخيريين وعليه سرج من نحاس وقد ركبت عليه صورة والد هذا الطاغية فليب كوارطو من نحاس ايضاً وهو راكب على الفرس ايضاً وبيده عصى وهي من عوائدهم يحبسونها في يدهم ويسمونها الباسطون(٤)، زعموا انه في زمن هداد الخيل يأتون بالفرس الانثى التي يريدون نتاجها ويوقفونها امام صورة الفرس ويركبون في ذلك الفرس حركات يسمع لها صرير وتصويت مثل تنحنح الفرس وينزون حينئذٍ فحلاً يرتضونه ويختارونه لكي تنتج الفرس على شكل تلك الصورة.

---

(١) وفي مخطوطة ١: ويقوّم

(٢) وهذا ما يسمونه اليوم: اسكي Esqui) Ski) وقد سبق المؤلف وشرحه بدقة كامهر المولعين بهذا النوع من الرياضة.

(٣) جمع كتشه وهي العربة (3) Coches

(٤) الباسطون Bastón: عصا، قضيب الاناقة

وكذلك رأينا مثل ذلك ايضاً في دار اخرى للطاغية خارج المدينة، والدار في بستان على الوادي الذي يمر تحت المدينة على هيئة الاوّل وعليه ايضاً صورة والده فليب كوارطو.

وله من البساتين والمتنزهات خارج مدينة مدريد مواضع كثيرة مشتملة على قنص وصيد لا يقدر احد على الاصطياد بها ولو كان من كان.

فلقد وجه الينا يوماً مع الكوندي الموكل بنا وقد امره باخراجنا الى موضع الاصطياد والأذن في الصيد، وهو على ستة اميال من مدينة مدريد وبهذا الموضع دار كبيرة يسمونها البردُ (١) كان بناها والده وهي دار كبيرة مشرفة على وادي مانسنارس المار بمدريد وبهذا المصيد المذكور من الوحوش كالايل والخنزير والقنين عدد كثير اذ لا سبيل لاحدان يصطاد بجميع ما احترمه الطاغية وهو حمي يقصده ولا يأذن فيه لاحد من خاصته، وزعموا ان أذنه لنا في ذلك خصوصية لم يسمح بها قبل لاحد وذكروا ان انباشادور الفرنسيس طلب ذلك منه هو وانباشادور المانيا فلم يأذن لهما فيه:

وبهذا المصيد ايضاً من الذياب اكبر من ذياب بلادنا وهو ذيب كبير اصفر اللون له فتك وقوة ولقد حاولنا رؤيته حين مصيدنا هناك فلم نره، ولما خرج الطاغية يوماً الى الصيد قتل ذيباً منها واصحبه معه الى داره وحين وصل داره وجه به الينا لنعاينه اذ عرف ان ذلك النوع ليس في بلادنا ويسمون ذلك الجنس من الذياب اللوبو (٢) والجنس الصغير الذي هو بلادنا يسمونه السُرة (٣) ويصفون الجنس الكبير منه بالقوة والفتك، ولعل هذا الجنس هو الذي يحدثون عنه انه بارض مصر وهو بمقدار النمر او يقرب منه.

* * *

---

(١) الباردو: (قصر) — (1) El Pardo (Palacio de)

(٢) اللوبو: الذئب — (2) Lobo

(٣) السُرّة: الثعلب — (3) Zorra

وهذه المدينة اعني مدريد وان كانت دار سكنى بعض سلف هذا الطاغية فانها لم تكن على ما هي عليه اليوم من الحضارة والكبر واتساع الازقة وانفساحها .

وكانت دار طواغيتهم قبل والده وجده مدينة بلَيَا وليد وهي على ثلاثة اميال من مدينة مدريد ، وحيث استقر بها جده زادت في العمران والبناء وكثرت الدور بكثرة السكان والعمار فان جلّ اعيان نصارى اسبانيا يسكنون بها مع الطاغية ومن بيده بلاد او مدينة يخلف فيها على يده من يقوم مقامه .

واسواق هذه المدينة كبيرة منفسحة الارجاء عامرة باهل البيع والشراء والتجارة واهل الحرف والصنائع رجالاً ونساء ، وهذه السوق يقصدها جميع اهل القرى والمداشر التي تقرب من مدريد .

ففي حوزها من القرى عدد كثير ، واهل هذه القرى يجلبون للمدينة جميع ما يباع بها من انواع الاطعمة والمأكولات والفواكه حتى ان الخبز لا يجعل بمدريد الاّ القليل منه وجلّ ما يؤكل منه بمدريد يأتي من القرى التي بخارجها يجلبه النساء ، فيأتين به راكبات على الدواب ويقفن في الاسواق لبيعه على ظهور الدواب ، والبعض منهن يقصدن الديار بتبليغهن اليها الخبز على قدر ما تستحقه الدار ، لان من عادة النصارى ان لا يخبز احد منهم بداره ، وجميع مؤنته انما هي عالة على السوق من كل شيء . وبالسوق عدة حوانيت لطبخ الطعام وصنعه للغرباء والضيوف والمسافرين الذين ليس لهم موضع معهود ، فيدخل الرجل للحانوت فيتحكم على المرأة التي به ويطلب منها من الطعام ما يشتهيه لحماً او دجاجاً او حوتاً او غيره مما يحبه وتطلبه شهوته فيأكل ويشرب ويدفع للمرأة ما يجب عليه في ذلك .

وتجد في هذه السوق من اللحوم البرية والوحشية والطيور مالا عدة له وهي ميتة بغير ذكاة ، والبعض منها بالحياة لمن يريد ان يجمع الدم لاكلهم اياه ،

وكذلك ايضاً تجد بهذه السوق من الفواكه الرطبة واليابسة ما لاحد له فان التفاح والعنب والكمثرى يباع بهذه السوق السنة كلها الى ان تدخل عليه الفاكهة الأخرى من العام المقبل، وجلب هذه الفواكه الرطبة جله من جبال غرناطة والرندة، وان كانت مدريد بعيدة عن هذه البلاد المذكورة فان غلاء السعر بها يجلب لها جميع الاشياء من سائر الاقطار، وكذلك ايضاً تجد بهذه السوق من الحوت الطري الشيء الكثير يأتون به من البحر على مسيرة سبعة ايام من بلاد أَلِيقنطي ومن ناحية بلاد البرتغال وبوسط هذه السوق سوق كبيرة مربعة وفيها حوانيت كبار وعلى الحوانيت من البيوت والغرف والمساكن ست طبقات وهي معمورة بالسكان من اهل هذه الاسواق وغيرهم، فقد زعموا ان بهذه (البلاصة) من السكان اربعة عشر الف متزوج، وبهذه السوق من اصحاب الحرف والصنائع والتجارة رجالاً ونساء عدد كثير ويسمون هذا الموضع البلاصة ميُور (١) ومعناه: السوق الكبيرة، وبوسط رحبته من النساء لبيع الخمر والخضر والفواكه والحوت واللحم على اختلاف انواعه شيء كثير.

وبهذه البلاصة يجعلون اعيادهم ومواسمهم كعيد الثيران وغيره.

فان من عوائدهم اذا كان شهر مايو (٢) في العاشر منه اوفي النصف يختارون ثيراناً فحولاً سماناً ويأتون بهم الى تلك البلاصة ويزينونها بانواع الفرش من الحرير والديباج ويجلسون في السطوح (٣) المطلة على البلاصة ويطلقون الثيران في وسط البلاصة واحداً واحداً ويدخل اليهم من يدعي الشجاعة ويحب اظهارها راكباً على

---

(١) بلاصه مايُور: الساحة العمومية او السوق الكبيرة (1) Plaza Mayor

(٢) وفي مخطوطة (م): مايُه

(٣) وفي مخطوطة (م): في المجالس المطلة

فرسه ليقاتل الثور بالسيف، فمنهم من يموت ومنهم من يقتل الثور (١) وموضع الطاغية في تلك البلاصة معلوم ليحضر ذلك هو وزوجته وجميع حشمه، والناس على اختلاف اعراضهم في الطيقان، فان كراءها في ذلك اليوم وحده اوفي يوم عيد مثله يعطى في موضع واحد مثل ما يعطى في السنة كلها، ولقد حضرت هنالك عيد جعلوه في هـذه البلاصة نسبوه الى راهب من رهبانهم يسمونه سان كوان زعموا انه كان من جنس الفرايلية وحسنت حالته فيما يعتقدونه من دينهم ورأواله فيما يخيّل لهم الشيطان اموراً تخييلية يسمونها الميلاكروس (٢) ومعناها البراهين وله الآن نحو من مايةسنة. وفي هذه السنة زعموا انه ثبت عند البابا امره فاذن في تطويفه ليراه الناس ويعرفونه، فجعلوا له هذا اليوم بعد ان احتفلوا وزينوا كنيسته بانواع الحرير والديباج والبسوا صورتـه حلَلاً فاخرة مرصعة بالدّر والياقوت وزينوا جميع الازقة من كنيسته الى البلاصة، وزينوا البلاصة ايضاً بانواع الزينة وعلقوا بها من اليواقيت والجواهر النفيسة والصلبان الذهبية المرصعة مالا يقدر بقيمة، (٣) واحتفل لذلك الطاغية احتفالاً كبيراً واعد لنا مجلساً مقابلًا لمجلسه الذي هو معد له وجعل به من انواع الزينة مثل ما عمل لموضعه وبعث الينا يستدعينا لرؤية ذلك وقصده تأنيسنا وجبر الخواطر.

فقصدنا ذلك الموضع فوجدنا به من الخلق مختلطين رجالاً ونساء ما ضاق بهم ذلك الموضع على اتساعه. فبعد ان قاسينا من زحام الخلق وكان في جميع الاسواق والازقة اكثر مما اجتمع منه في البلاصة، فقصدنا الموضع الذي اعدلنا وصعدنا اليه وحيث جلسنا وقابلنا الطاغية سلم علينا وازال شمريره من على رأسه وقعد هو وزوجته وامه، وحشمه حولـه

---

(١) يشير الى مُصارعة الثيران — (1) Corrida de Toros

(٢) ميلاكروس: عجائب، امور فائقة الطبيعة — (2) Milagros

(٣) وفي مخطوطة (م): مالا قيمة له

وسلّم سلاماً كثيراً هو ووزراءه، واجتازوا بصلبانهم وتصاويرهم وبصورة هذا الفرايلي كوانا (١) الذي أذن لهم فيه البابا وجعلوا له كنائساً عديدة في كل مدينة وقرية وكذلك ايضاً جعلوا له عيداً على قدر المدينة او القرية.

والفرايلية المنتسبون اليه هم الذين يقومون في كل موضع بامور المرضى من المعالجة والخدمة وغيرها، فانه حيث كان في عهده من الفرايلية الذين يخدمون ذلك، صاروا كلهم يجعلون مرستانات في كنائسه ويقومون بامور المرضى اتم قيام.

فان ببلاد اسبانيا من المرستانات ما لاعدّ له، فان في مدينة مدريد اربعة عشر مرستاناً في غاية الكبر والنظافة والاقامة: من الفراش والطعام والأشربة والمعاجين ومن يقوم بأمر المرضى، فيجعلون ايضاً للنساء المريضات عجائزاً يخدمهن ويقمن بهن وللرجال رجالاً. وهنّ في غاية التحفظ والمعالجة من غير تفريط بشيء يحتاجه المريض قليلًا كان او كثيراً.

فلقد دخلتُ منهم عدة، فرأيت فيهم من الاقامة ماله بال ومال. وفي كل مرستان، منها مخازن عدة، مشحون كل واحد منها بما هو معد له من الزيت والخل والمعاجن والأشربة وموضع الطبخ، فلقد وجدتُ به من اللحوم ولحم الضأن والدجاج والقنين والحجل ولحم الخنزير وغيره بقصد المرضى، فاذا دخل الطبيب على المريض وجسّ يده وعرف حالته يكتب بطاقة (٢) يدفعها للقيم على المرضى وهو يدفعها للقيمة على الطبخ ويحضرون له ما امره به الطبيب.

ولقد رأيت عندهم بيتاً آخراً فيه حوائج المرضى، وذلك اذا دخل المريض المرستان يزيلون له جميع ما عليه من الثياب ويرفعونهم في البيت المعد لذلك ويكتبون عليهم

---

(١) هو القديس يوحنا مؤسس اخوة المحبة (1) S. Juan de Dios (1495-1550)

(٢) وصف تركيب الادوية (وصفة) (2) Receta

بطاقة بتعريف الحوائج وربها، ويلبسونه حوايج اخرى معدة هنالك المرضى من متاع الحبس الموقف على المارستان، يجعلون له سريراً عليه لحفان وازاران ووسادة. وكل ثمانية ايام يغسلون الثياب التي عليه ويجعلون له ثياباً اخرى، فاذا قام من مرضه البسوه حوائجه التي اتى بها وينصرف الى سبيله، وان مات يكفن من وفر المرستان ويبحث عن اهله فيدفعون لهم ثيابه التي تركها هنالك.

ولكل مارستان من هذه طبيبٌ معلومٌ تعين له دار سكناه قرب المرستان وكراؤها من الوفر، وجميع مؤنة الطبيب وما يتعلق به وبحشمه من الضروريات ومعيشته كلها من الاوقاف ليكون سائر الاوقات حاضراً غير غائب ولا مشتغل بشأن معاشه.

وهذا الجنس الذين هم منسوبون الى هذا الفرآيلي سان كوان هم اكثر الناس خدمة المرضى ولهم في ذلك اعتقاد.

ولقد مرض بعض اصحابنا ونحن مقيمون بمدينة سان لوكار وكان هذا الجنس يختلفون الينا للزيارة سائر الايام، فحين رأوا المريض طابوا منا ان ينقلوه الى موضعهم ليعالجوه ويقوموا بأمره، فمنعتهم من ذلك فتغيروا وقالوا احسنا الحسنة فما ظننا ان تمنعنا منها، ورغبوا في ذلك كثيراً فلم اطلق لهم في شأنه بطرف، فلم يزالوا يعودونه حتى برئ.

ويودّ لهم الانسان باعتقادهم ذلك وحسن اخلاقهم ومسكنتهم ان لو كانوا على الطريقة المستقيمة فانهم احسن اهل جنسهم اخلاقاً واكثرهم مسكنة والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم.

*
* *

وبسوق مدريد ايضاً موضع معدّ للرسائل والبراوات (١) الواردة من جميع البلدان

---

(١) البراوات: جمع براءة بالاصطلاح المغربي وهي الرسائل

والاقاليم والاقطار، فان في كل يوم من ايام الجمعة ترد رسائل بلد من البلدان، فمن كان يرتجي ورود براءة يمضي الى الحوانيت المعدة لذلك وينظر هل اتاه شيء ام لا، فاذا وجد براءة يعطي عليها جعلاً معلوماً : قدرَ ربع اوقية بلادنا، (١) وكذلك من يجب بعث رسالته الى بلادٍ، يكتبها ايضاً ويطرحها في الموضع المعلوم ولا يعطي عليها شيئاً فان الذي يتسلمها هو الذي يخلّص كراءها، هذا فيما قرب من البلاد مسيرة نصف شهر فما دون من جميع البلاد. واما ما كان من بلاد بعيدة من البلدان مثل ايطاليا ورومة ونابُل وفلانضس وفرانسية والانكلاطيرّة وغيرهم من البلدان القاصية فانّ كراء البراءة الواردة من احدى هذه البلدان هو وزنها من الفضة، ويتحصل (٢) في هذه الرسائل من الاموال شيء كثير.

ولقد ورد في شهر فبراير رقّاص ايطاليا ورومة واتى معه بزنة ثلاثة وخمسين ربعاً من الرسائل فتحصل في ذلك ثلاثة عشرة قنطاراً وربع القنطار (٣) من الفضة وهذه الخطة هي في يد كندي يسمى كنديانطي زعموا ان الطاغية اعطاها اياه ليعيش بها، والرقاقيص جميعاً تحت يده، وعادتهم في ذلك ان يحمل الرقّاص القاصد الى البلاد الفلانية جميع ما يتحمّل من البراوات اليها ويسافر سفراً عميقاً من غير التفات ولا عطلة ومهما تراخى او عطب، يبدله في بينطة من البينطات المعدة في الطرق للضيوف والرقاقيص كما قدمنا، بكراء معين والقدر المعلوم عندهم لتبديل المركوب هو تسعة اميال لا يقدر على الزيادة عليها.

---

(١) الاوقية في الاوزان المغربية هي ٣١ غراماً وربع، والرطل ١٦ اوقية والقنطار ماية رطل.

(٢) وفي مخطوطة م: ويتحمّل

(٣) هكذا في الاصل، والصحيح ثلاثة عشرة اوقية وربع

فيمضي نصف طريق البلاد التي كان قاصداً اليها فيلقى رقاصها آتياً فيعطي كل واحد منهما ما اتى به من الرسائل الآتي من البلاد الأخرى ويرجع كل واحد منهما الى بلاده التي اتى منها، ففي كل يوم من الايام يكون عند الرجل علم جميع البلاد.

وبمدريد شيء آخر زائد في الاخبار عن البراوات، وذلك انه اذا كان خبر من بلدان بعيدة نائية، فان فيها داراً فيها قالب الكتابة وهو على يد رجلٍ واحدٍ قد تحمَّل لذلك مكساً للطاغية معيناً على رأس كل سنة، فمهما سمع بخبر او طرقه خبر وبحث عنه، يجمع من الاخبار ما يجمع ويفرغ عليها قالباً يطبع عليه آلاف من القراطيس ويبيعها باقل ثمن، فتجد الرجل في يده منها شيء كثير ينادي عليها ويقول: من يشتري اخبار البلاد الفلانية والبلاد الفلانية، فمن احب الاطلاع على ذلك يشتري منها قرطاساً ويسمونها الكاسيطة، فيطلع الانسان منها على اخبار كثيرة، الآ ان فيها من الزيادة والكذب ما تحمل عليه الشهوة النفسانية.

* * *

ومع الرقاص الوارد من ايطالية وروما كما قدمنا ذكره ورد خبر موت البابا الذي برومة،(١) ولم يتولَّ احد آخر مكانه الى هذه الايام، ونحن مقيمون بمدينة سان لوكار ورد تولية رجل آخر منزلته. وهذه المنزلة عند عبدة الصليب هي منزلة كبيرة بحيث المتولي لها يحدث لهم الديانات والاحكام ويشرع لهم الشرائع ويأمرهم بفعل ما احب وينهاهم عما كره بوفق غرضه، فلا يقدرون على مخالفته ولا يسعهم الا الامتثال، ففي المخالفة له عندهم خروج عن دينهم.

وكيفية تولية هذا البابا هو انه تحته اثنان وسبعون راهباً من اكابر علمائهم كلهم يلقب بالكردينال، ودرجة الكردينال عندهم هي احطّ منزلة من البابا، فاذا

---

(١) هو البابا اسكندر الثامن اعتلى السدة البطرسية سنة ١٦٨٩ توفي سنة ١٦٩١

مات البابا، دخل كل واحد من الاثنين والسبعين بيته واغلق عليه بابه وقعد يتعبد في زعمه، بحيث لا يخالط احداً ولا يتكلم مع احد وانما يُناول الطعام الذي يقوت به نفسه، ويقيم على ذلك اربعة اشهر، فاذا انقضت الشهور الاربعة فكّر كل واحد منهم في نفسه الى الرجل من الاحد والسبعين، يغلب على ظنه انه يرتضيه ويختاره لثقته وامانته وعلمه وديانته، فيكتب اسمه في قرطاس صغير ويضعه في صندوق مغلق بحيث لا يطلع عليه هو ولا غيره، وكل واحد من المذكورين يكتب من القراطيس على قدر من يختاره، ويضع القرطاس في محله المعدّله فاذا انقضت الايام المعلومة لذلك وانقضت الكتابة والاختبار اجتمعوا وجعلوا ديواناً وفتحوا الصندوق وقرءوا القراطيس، فاي اسم من الاسماء وجدوه اكثر تعدداً في القراطيس اتفقوا عليه وولّوه تلك المنزلة بعد ان يأخذوا عليه العهود والمواثيق بالشروط المعلومة عندهم من الامانة والصدق ويأخذ عليه ايضاً هو من العهود ما هو معروفٌ عندهم. وصار هو اذ ذاك عندهم البابا.

ومن عاداتهم ان لا يختاروا الاّ من نيّف على الثمانين سنة والذي صيّروه بابا هذه المرة هو اصغر سناً من ذلك فقد زعموا انه ابن خمس وسبعين سنة (١) وما زالوا يصفونه بصغر السن وقالوا انه لم يتقدم احد قبله في سنه.

وقد كانت قبل هذه السنين عادة اخرى وهي: ان لا يختار لتلك المنزلة الاّ رجل من اهل ايطالية عمالة رومة واحوازها لسبب كان الجاهم الى ذلك وهو انهم عشروا على بعضهم كان من جنس الفرنسيس تولى تلك المنزلة وصار يجمع الاموال ويدسها الى بلاده، فاتفق رأيهم في ذلك العهد على ان لا يتولى تلك المنزلة احد من جنس الفرنسيس ولا من جنس الاسبنيول الذين لهم الشوكة والعصبية، وانما يتولاها

---

(١) هو البابا اينوسنسيو الثاني عشر Inocencio XII-1691-1700

رجل من ايطالية واحكام رومة وعمالتها، يتولاها رجل من اقارب البابا ولا يتصرف احد غيره في جميع نواحي ايطالية بشيءٍ من الاشياء .

والبابا الذي ولّوه هذه السنة بعد موت البابا هو من بلاد نابُلِ من حوز ايطالية الاَّ انها في يد الاسبنيول وقد أُتخذت هذه القاعدة عندهم هذه المرة وتولاها من هو من عمالة الاسبنيول.

وهذا البابا هو الذي يفرض عليهم الصيام في بعض الايام لسبب يؤلّه لهم ويمنعهم من اكل اللحوم يوم الجمعة ويوم السبت ويحدث لهم برأيه ما يستحسنه،ويمنع اهل الصليب ان يتزوج احد قريبته اوبنت عمه اوعمته اوابنت خالته او خاله الاّ اذا أخذ له اذن من عنده واحلّ له ذلك، وعندهم في ذلك انفاق ومال كثير لمن يحتاج له اذن من عنده في تزويج قريبته بما يدفعه للوسائط والطريق من بعد المسافة ولا يسهل عليه في ذلك الاَّ اذا كان ذاجاه ومال فاذا كان ذاجاه ومال يجد السبيل للاذن في التزويج، وقد ادن لهم ايضاً في تزويج القريبة اذا وقع بينه وبينها ملاقات من زنى الى ان ظهر بها حمل وكانت قريبته فهذه اطلق لهم فيها الاذن من غير ان يحتاج الى الوصول اليه .

ولقد رأيتُ بمدريد امرأة صغيرة ذات حسن وجمال ومنصب من اكابر اهل اسبانيا وقد تزوجها خالها وهو رجل يسمى دون بيدرُو ذي اراغون وهو من ابناء ملوك اراغون فتزوج ابنة اخته باذن من البابا، وكان كبير السن فخاف ان يموت من غير عقب ولم يكن عنده من يورثه فأخذ الاذن من البابا فتزوج ابنة اخته ومات قرب تزويجه منها وخلف لها من الاموال ما يعجز عن حسابه .

ولقد حاول بعض الاعيان تزويجها بعده فلم يناالوا منها شيئا من كونها من اهل اسبانيا وهي ابنة دوكي يسمى دوكي مدينة سليس وكان له عند الطاغية منزلة

الوزارة والحجابة والدخول عليه في فراشه وغير ذلك، وكان له مع ذلك زيادة موروثة ورثها عن سلفه من قديم هو وابوه وجدة حيث كانوا من نسل ملوك اسبانيا، فكان اذا سلم على الطاغية يقول له: نحن بعدكم. يعني ان له الولاية بعدهم اذا انقطع عقبهم ولم يخلفوا من يرث الملك.

وبقي هو وسلفه على ذلك زمان اسلاف هذا الطاغية وزمانه هو، الى ما قبل هذه السنة بتسعة اعوام فيما ذكروا: ان الطاغية خامر عقله وشوّش ذهنه ما يسمعه من تلك الكلمة التي تؤلم قلبه حيث لم يولد له، فمال له يوماً: ان هذه الكلمة التي اسمعها منك كثيراً ما تؤلمني واريد ان تتركها ولا تعد لقولها ولا الى الارتقاب اليها، لا انت ولا عقبك من بعدك، فتركها حيث لم تمكنه المخالفة وبقي على حال وزارته وتصرفه الى ان حاول منه الطاغية امراً امره به وكان الوزير يجب خلافه فلم يمتثل لذلك ولا اذعن اليه.

فلما رأى منه الطاغية التصمم على خلاف شهوته وكان بيد الوزير مفتاح يدخل به على الطاغية اينما كان.

فجاء الوزير يوماً على عادته فوجد الباب مغلقاً من داخل فحاول فتحه فلم يقدر فقرع الباب الى ان نهض الطاغية وجاء الى الباب ينظر القارع، فلما فتح الباب وجد الوزير فاغلقها في وجهه، فرجع الوزير حنقاً الى داره وقعد بها، فلم يطل الى ان مرض بالمرض المسمى عندنا بالنقطة، وبقي مريضاً نحو الثمانية اعوام ولحق بالسعير في هذه السنة ونحن مقيمون بمدريد، وخلف ولداً هو انباشادور في رومة بنيابة عن طاغية اسبانيا وواسطة هنالك عند البابا.

اذ من عوائدهم ان يبعثوا سفراء من بعضهم الى بعض كما فعل البابا ايضاً ببعثه رجلاً كبيراً من علماء ملته الى مدريد يسمونه النونسيو هو خليفة البابا فيما قرب من

امور الديوانات والشرائع، وكذلك بمدريد عدة من الانبشادورين. فان بها اليوم انباشادور المانيا وآخر من انكلاطيرة.

وقد كان قبل قدم من قبل الانكليز رجل فاقام بمدريد مدة فعشق امرأة حمله ما به منها الى ان تنصر وتبع دين اهل الصليب، اذ جنس الانكليز لا يعبدون صلباً، فحيث بلغهم تنصره ابدلواه بآخر عوضه وبقي هو بمدريد، تأهل وجعل له الطاغية راتباً يعيش به، مبلغه اثني عشر الف ريال عن كل سنة، ولقد فقد ببلاده جميع ما كان يملكه اذ لا طمع له فيه.

وبمدريد ايضاً انباشادور بلنسية والبرتغال فهؤلاء مقرّون مستوطنون باولادهم ونساءهم. والغير يقدم بقصد قضاء ما يأتي اليه ويرجع في حاله.

ولقد كان قبل هذه الساعة بمدريد انباشادور افرانسية ولما وقع بين اجناس النصارى ما بينهم اليوم من الفتن والحروب والعداوة حسبما نذكر سببه بعد هذا ان شاء الله رجع في حاله الى مخدومه.

*
* *

وسبب هذه العداوة التي بينهم اليوم مسألتان: او لهما ان الفرنسيس لما شمخ بانفه وجدب برأيه واشتد كلفه على ابناء جنسه ودخاته النخوة وكان مجاوراً له اذ ذاك كندي له ولاية وعمالة لم تكن تحت احد من الملوك وانما ورثها عن سلفه مثل ما لبعضهم من العوائد عند ملوك العجم، اذ كان له عدة اولاد فان البكر هو الوارث للملك ومن بعده يكون دوكاً على طراف من البلاد معيناً معروفاً لا ينازع فيه ولا يطمع هو معه في الملك، الاّ اذا انقرض اخوه الوارث من غير عقب ووقف الأمر عليه، فانّ في عوائد ميراثهم ان الاخ يرث اخاه اذا لم

يكن له ولد، فان غيره من نسل اخيه يرث الملك سواء كان حفيداً او ابن حفيد او ابن اختٍ او بنت اخت.

وكان هذا الدوكي المذكور والياً على طرف، من البلاد، وقد كان من غير (١) جنس الفرنسيس، فاحبّ الفرنسيس ان يعزله ويعمل غيره مكانه وعجز الدوكي عن مقاومة الفرنسيس فانكسر البابا عليه ذلك فابى الاّ تمادياً على فعله ولم يعمل بقول البابا ولا بانكاره عليه.

*
* *

وحيث كان جميع عبدة الصليب تحت نظر البابا واليه ينتهي جميع كلامهم ومن عنده يلتمسون جلّ اديانهم واحكامهم وعنه يأخذون دينهم المنكب عن طريق الحق والهدى تابعين بذلك سبيل الغي والردا ويحدث لهم اديانا على وفق ارادته وهواه ويساعدونه في تلك الامور (٢).

فكانوا لا يبرمون شيئاً في امر دينهم الاّ عن اذنه ومشورته ويوافقونه فيما يلائم اغراضهم من امر دنياهم ورياستهم.

فحيث وقع الانكار من البابا على الفرنسيس وخالفه وقعت المشاحنة بين البابا والفرنسيس لعدم انصاته اليه ومخالفة ارادته في مثل هذه المسئلة وخرقه القواعد التي لا سبيل لهم الى خرقها (٣) وازالة ذوي الاقدار عن مراتبهم وميراثهم. ادّى ذلك الى المشاحنة والمنافرة بينهم. وفي اثناء ذلك وقع بين الفرنسيس ايضاً وبين امبرادور

---

(١) وفي مخطوطة م: وليس هو من جنس الفرنسيس

(٢) وفي مخطوطة م: ويساعفونه في الأمور التي قدّر الله تعالى فيها شقاوته

(٣) وفي مخطوطة م: الى خرمها

المانيا كلام في شأن المهادنة التي بينه وبين ملك الترك قواه الله، ودعاه الى افساد المهادنة ورجوعه عن مواصلته فلم يكن من الفرنسيس التفات الى الانبرادور ولا الى ما دعاه اليه فوقع الشقاق بينهما بسبب ذلك.

فحين صار بينهما ما ذكر من الشنئان انكسر الاجناس الآخرون من المسيحية على الفرنسيس تصممه على خلاف الانبرادور وعدم مساعدته الى ما دعاهُ اليه من طرح المهادنة. وكان للانبرادور عند الاجناس المسيحية منزلة ومكانة من اجل مقاباته المسلمين دائماً واشتغاله بالحرب معهم سائر اوقاته وزمانه، ومن اجل ذلك يلقب بالانبرادور ومن اجل اجناس اخرى يتابعونه في حربه، فاجمع الاجناس الذين هم الي نظر البابا وكانوا شيعة الانبرادور عداوة للفرنسيس وكتبوا اليه قائلين له: اعلم إن تجشمكَ لهذه الأمور وارتكابك لها من مخالفتك للبابا الذي نحن جميعاً الى نظره وبتعمدك الى خرق العوائد من ازالة ذوي الاقدار عن مكانتهم وخالفت رأس هذا الدين وتعمدت مخالفته وقد علمتَ ما في مخالفته، ومنها ايضاً مهادنتك مع الترك وبقاؤك معهم على المهادنة، وقد علمت ما بينهم وبين الانبرادور من الحروب التي لا يمكنك جحدها، وفي ديننا ومذاهبنا تجبُ علينا معونته واتباعه. . فامّا ان ترجع عن صلحك مع الترك وتصير معنا ومع الانبرادور حالة واحدة واما ان نضرب الديوان على عداوتك وحربك.

وذلك ظناً منهم انه ان رأى اجتماعهم واتفاقهم كلهم على مقاومته وحربه لا يقدر على مقاومتهم، فيرجع على نفسه باللوم والندامة، وان صمّم على مخالفتهم اجمعوا على عداوته براً وبحراً فيقصمون (١) ظهره ويكسرون شوكته.

فلما رأى ما اجمعوا عليه وسوّلت له نفسه مقاومتهم وعلم من نفسه ذلك كتب

---

(١) وفي مخطوطة ٢: يقسمون (بالسين)

لهم قائلاً اني اطلعتُ على ما اجمعتم عليه واريد ان توجهوا اليّ ذلك بخطوط ملوككم لأرى في ذلك رأيي واستشير في نفسي. فاجابوه الى ذلك واتفقوا عليه ووجهوا به اليه.

فلما رأى ما اجمعوا عليه وقرأ ما اتفقوا به من حربهم له اذا لم يرجع عن مهادنته مع الترك ويساعف الامبرادور في فسادها ويقلع عما كان ارتكبه من مخالفة البابا فهم حرب عليه.

فكتب تحت اشهادهم بذلك بخط يده: هؤلاء الاجناس عدو للفرنسيس والفرنسيس عدو لهؤلاء الاجناس، وبعث به اليهم. فحيث رأو اما اجمع عليه من عداوتهم لم يكن بد بد حربه حيث اشهدوا على انفسهم ذلك واشتعلت الحرب بينهم بسبب هذا براً وبحراً ومازالت الى الآن في هياج واشتعال.

* * *

وهذه الاجناس المذكورة هي: الاسبنيول والالمان والطليان والسوسة التي يسمونها النصارى بسوسية (١) وما بويه. ولم يختلف عن الدخول في حزب هذا الحرب الاَّ البرتغال فقد دعوا طاغيتهم الى الدخول معهم فأبى ولم يدخل لهم حزباً ولا حرباً وكذلك جنس الجنويز لم يدخلوا معهم وكبيرهم دوكي يسمونه ككران دوكي ومعناه الدوكي الكبير لما تحت يديه من الولايات والعمالات غير انه لم يورط نفسه مع هؤلاء في حرب وانما هو مع الفرنسيس في مهادنة اتفق معه عليها بجعل معلوم وسفائن معدودة في البحر حيثما يطلبها يجدها وبقي مع سائر الاجناس في مهادنة. وقد كان جنس الانجليز والفلامنك قبل هذا ايضاً لم يدخلوا مدخل هؤلاء الاجناس

---

(١) سوسة وسوسية: اسوج (1) Suecia

المسيحية في حرب، لانهم لم يكونوا معدودين عندهم نصارى بسبب اختلاف ما بينهم من عدم المبالغة في اتباع البابا كما يتبعه سائر النصارى عبدة الصليب، والانجليز والفلامك هم حالة واحدة، وهم ينكرون على الصليبيين اموراً واشياء ابتدعوها من الضلالة، وكلهم على سنن ضالة نسأل الله السلامة، وبسبب ذلك يسمي المسيحيون هؤلاء اللنجليز والفلامنك الريكيس (١) ومعناه الروافض.

*
* *

وحيث كان طاغية الانجليز توفي (٢) اثناء عداوة المسيحيين بينهم ولم يخلف ولداً يلي ملك ابنـاء جنسه من بعده وخلف اخاً له يسمى يعقوب، وكـان يعقوب هذا هو وزوجته يعتقدان دين النصرانية خيفـة من غير ان يعلم بهما احد من قومهما.

ولما مات اخوه وتعين الامر عليه لم يكن له بد من توليته وانزاله منزلة اخيه، فدعوه الي التملك عليهم فامتنع وابى تحيّلاً منه ومكراً، فحيث الحوّا عليه ورأى ان لا سبيل لهم بالتعدي الى تملك غيره لعدم من يستحقه بالميراث، فقال لهم: لا اساعدكم (٣) الى ما تدعونني اليه وتطلبونه مني الآن عملتم لي غرضاً لاضرر عليكم فيه وهو: ان كل من احبّ ديناً يتبعه. فوافقوه في ذلك وساعفوه والبسوه التاج ومكّنوه، فلم يرعهم الاّ واصبح هو وزوجته وقـد علقا الصلبان واظهرا افرا ئلياً من النصارى كان عندهما ودخلا الكنيسة

---

(١) يقصد لفظة اريخس Herejes هراطقة، روافض، ملحدون: هم الذين انكروا عقيدة من عقائد الدين المسيحي ورفضوا الخضوع لسلطة البابا

(٢) هو كرلوص الثاني ملك انكلتيرا مات سنة ١٦٨٥

(٣) وفي مخطوطة م: لا اساعفكم

وصليا بصلاة النصارى وتبعه على ذلك من كان من بطانته عالما به، واحبّ ان يحمل ابناء جنسه على اتباع دينه الذي اصبح متديناً به.

فحين رأى جنس الانجليز ما حلّ بهم من مخالفة ملكهم دينهم واتباعه دين اهل الصليب خافوا سريان ذلك الداء الى عامتهم فلا يمكنهم حينئذٍ حسم تلك المادة. فانكروا على الطاغية ما فعله من التدّين، فدوّنوا ديوانهم مزعمين على قتله، فحين احسن بذلك منهم هرب الى ملك الفرنسيس هو وزوجته واحتمى به، فاجمع الفرنسيس على نصرته ومحاماته كرهاً من الانجليز ورغماً على انفهم، فخاطبوه في ذلك وصار بينهم كلام كان الانفصال فيه الى ان قال لهم: انتم اجمعون لي اعداء مثل سائر النصارى فاستعدوا لحربي الى ان اردّ الهارب الى داره (١) ومملكته بالرغم منكم.

وحيث حلّ بالانجليز ما حلّ بهم من خروج ملكهم وتولد الحرب بينهم وبين الفرنسيس ملكوا عليهم البرينسيبي دورانجي قيّم جنس الفلامنك، اذ كانوا هم واياهم متدينين بدين واحد في اختلاف ما بينهم وبين اهل الصليب (٢)، وتولى البرينسيبي امرهم ولقبوه بالملك وازمعوا على حرب الفرنسيس براً وبحراً، وحيث كانت بلاد الفلامنك ولاَّ نضة(٣) مجاورة لبلاد فلانضس وبلاد فلانضس هي بالاصالة من جنس الفلامنك ايضاً وكانوا قبلاً على رأيهم ومذهبهم في التدّين والاعتقاد، وحين صارت فلانضس عمالة لجنس

---

(١) وفي مخطوطة م: الى ارضه

(٢) يقصد المؤلف باهل الصليب وعبدة الصليب الكاثوليك فقط كما انه يستعمل كلمة (النصارى) بهذا المعنى. فالنصارى كلمة تطلق على جميع المسيحيين: من كاثوليك وبروتستنت وارثودكس الى غير ذلك من الطوائف المسيحية وعند ما يتكلم عن دين الانكليز والفلامنك (الهلنديين) يقصد به المذهب البروتستنتي

(٣) هولاندة

(3) Holanda

الاسبنيول بانتقال الكوندي زوج ابنة فرنندو الذي كان باشبيلية كما قدمناه، وصارت فلانضس وجميع احكامها الى نظر طواغي اسبانيا زمهم بما لهم عليهم من الغلبة ان يتنصروا ويكونوا على دين حكامهم . فنهض اليهم ملك الفرنسيس هذه السنة بمحلة اصحبها قبل مع ولده الدلفين ابعده الله، وادركه هو بعد ذلك بنفسه، فخيم على قاعدتها مدينة مونص (١) وحاصرها اياماً قليلة ونصب عليها المدافع والبونبات وضيق باهلها تضييقاً كثيراً، وكان بها من ادالة الاسبنيول اثنا عشر الفاً، فحيث رأوا ما حلّ بهم من التضيق وخافوا الهلاك اعطوه القياد، فملك القاعدة وجميع ما هو محسوب عليها ويخاف اليها من القرى والمدن والعمالات ما ينيّف على سبعماية بين مدن وقرى، وحين فتحها دخلها في يوم عيد الفصح منتصف شهر ابريل من عامنا هذا، فترك المحلة صحبة ولده الدلفين ورجع الى باريز دار مملكته وقاعدة بلاده، وما زال ولده اليوم مقابلاً البرينسيبي دورانجي المملّك على جنس الفلامنك والانجليز، وذكروا ان عدد جيوش البرينسيبي خمسة وسبعون الفاً ولهم عمارة في البحر مقابلة لعمارة الفرنسيس، وزعموا ان عمارة الانجليز هزمت عمارة الفرنسيس وافسدت لهم اربعين سفينة، وقد حارب الفرنسيس ايضاً الاسبنيول براً وبحراً، ففي البر حاصر مدينة كطلونيا في عمالة برسلونة (٢) وقباله محلة لجنس الاسبنيول ولي امرها دوكي مدينة صيدونية الملقب بقزمان، وقد كانوا ايام مقامنا بمدريد يخافون عليه من الفرنسيس فامدّوه بجيش قايل لا بال له وكانوا ينتظرون ما يكون بينهما، فزعموا ان في هذا الشهر خيم عليها ونصب عليها وعلى المدينة (برسلونة) المدافع والبونبات وهدم منها عدة دور، فنهض اهل برسلونة الى من ببلادهم من جنس الفرنسيس وامروا بالخروج من هو اغرب وان لا يُترك الآ من هو متأهل، وحين فعلت سفن الفرنسيس ببرسلونة

---

(١) استولى الفرنسيّون على مدينة مونص في ٩ ابريل سنة ١٦٩١

(٢) هكذا في الاصل، والصحيح : برسلونة من عمالة كطالونيا .

ما فعلت تقدمت الى مدينة تسمّى أَلِقَنْتي (١) فهدمت ايضاً منها بالبونبات ما ينيف على ست مائة داراً.

فاحاط اهل أَلقنتي بمن منهم ايضاً من الفرنسيس وقتلوهم بحيث لم يفلت منهم احد، فزعموا ان من قتل منهم بألقَنْتي ثلاثه آلاف نفس.

وحين سمع الاسبنيول بتقدم عمارة الفرنسيس الى القنتي وبرسلونة وكانت عمارته قد ذهبت الى البحر الكبير بقصد البحث عن سفن الهند(٢) لبطء اخبارها عنهم وفوات وقت قدومها بعادتها، فجهوا من استرجع العمارة لتتقدم نحو بلاد القنتي وبرسلونة لمحاربة عمارة الفرنسيس، فلم تصل العمارة الاّ وقد هدم الفرنسيس ما هدم وعمل ما عمل ورجع، فلم يدركوا بتلك الناحية احداً من عمارة الفرنسيس.

وللفرنسيس ايضاً حروب اخرى مع اهل بنيسيا (٤) وايطاليا والمانيا وسابوية (٣) فان بلاد سابوية هي في يد دوكي يسمّى دوكي سابوية كان دخل في حزب اهل الصليب في العداوة التي نشأت بينهم وبين الفرنسيس.

وفي هذه السنة تقدمت محلة الفرنسيس نحو سابوية وضايقت اهلها تضييقاً كثيراً وملكت جميع بلاد سابويه ومدنها وقراها حتى لم يبقَ للدوكي القيّم عليها الاّ المدينة التي هو محاصر بها اليوم وما زالت المحلة محيطة به ومحاصرة له.

وبسبب محاربة الفرنسيس للانبرادور حسب ما تقدم ذكر الاسباب المثيرة لها يتسببون له المعونة لملك الترك قواه الله ويزعمون انه يمده بما يحتاجه من الأُمور الحربية

---

(١) أَلِقَنْطي (1) Alicante

(٢) يقصد اميركا

(٣) فنيسيا (3) Venecia

(٤) سابويا (4) Saboya

مثل المدافع وغيرها، وبسبب مقام الباشادور للفرنسيس ببلاد اسطنبول يزعمون انه يمده، والصحيح هو: ان اهل فرنسا اهل اسباب وتجارة وجلّ تجارتهم انما هي في الناحية الاسطنبولية ولاهل الاسباب والتجارة عند طاغية الفرنسيس دمره الله منزلة ومكانة اذ كانوا هذه السنين هم اهل ديوانه وجلّ بطانته فكان يساعفهم فيما يؤول الى منفعتهم من الاسباب والتجارة التي يعود نفعها عليه ويحصل له بسببها من الاموال ما يحصل بخلاف غيره من الاجناس، مثل هذا الجنس الاسبنيولي فان التاجر عندهم لا يعدّ شيئاً، وبسبب ذلك قلّ التجار من جنس الاسبنيول، ولا تجد احداً منهم مسافراً في بلد بقصد التجارة الاّ ما كان في بلاد الهند.

واكثر من باسبانيا من المتسببين والتجارهم من الانجليز والفلامنك والجنويز وغيرهم، فديوان الفرنسيس مع التجار من قومه هو بسبب ما يراه من المنفعة في ذلك والا فالترك يطلبون القوة والمعونة من الله تعالى لا كما يزعم هؤلاء الجهال اهل الضلالة. لان انتقال الفرنسيس للانبرادور وحربه معه للترك بسبب استخلاص في السنة الفارطة مدينة ابن الاغراض (١) وما حولها، والله تعالى ناصر دينه.

*
* *

والذي ورد هذه الساعة من الاخبار عن ملك الترك ايده الله انه جمع جموعاً كثيرة وانه لا يثني العنان بحول الله وقوته دون مدينة باينا (٢) التي هي قاعدة المانيا ومحط سريره ولقد اخرجوا في اخبارهم التي يكتبونها على عوائدهم في هذا الشهر: انّ وزير

---

(١) ابن الاغراض، اين الاكراد: بلغراد Belgrado قد استرجع السلطان سليمان مدينة بلغراد من دوق بافاريا وافتتحها عنوةً سنة ١٦٩١

(2) Viena (٢) فِينَا

السلطان سليمان برز بمحلته وبها مئة الف مقاتل وخمسة وعشرون الف مقاتل وان جيش التتار قدم في ميعاد محلة الترك بثمانين الف مقاتل، وقد صادف وصولهم الموضع المعتاد لمحلة القبطان مـــن خدام الانبرادور مخيماً بموضع من المواضع ومعه ستة آلاف مقاتل، فحارب التتار محلة القبطان المذكور فاسروا من قومـــه اربعة آلاف شخص (١) وقتلوا عدة ولم يفلت من الباقين الاّ النزر الذي لا يعد لقلته، ومع الترك محلة لكندٍ يسمونه التاكلي كان قبل هـذا تحت ملك الترك بذمة وعهد، فجذب بعد ذلك لرأسه، فلما وقع بمدينة ابن الاغراض ما وقـع رجع التاكـلي الى نصرة السلطان سليمان ايده الله وفعل لجنس اهل الصليب افاعيل نوهوا به في تاريخهم بسببها.

ولقد ذكروا ان الانبرادور كثيراً ماحاول ان يثني التاكلي عن ملك الترك فلم يقدر، ثم بعد ذلك اغار بعد اصحاب الانبيرادور على قوم التاكلي فاسروا منهم عدة وكان فيما اسروا زوجة التاكلي وبعض اولاده، فأزمع الانبرادور على قتلهم رجاء ان يثنيه فلم يفعل، فحينئذٍ حبس الانبرادور زوجة التاكلي ومن اسر معها(٢)وما زالت الى الآن عنده وازداد بذلك التاكلي جرأة وتمادياً على اهل الصليب.

وما زال الانبرادور قبحه الله يستغيث باهل الصليب ويجعل بينه وبينهم المهادنة ممن والى بلاد الترك ليكونوا له معونـــة باشتغال المسلمين (قواهم الله) مثل جنس يسمى بولونيا (٣) فان بولونيا هذه جنس من اجناس النصارى ولهم عمالات وبلاد موالية لبلاد الترك ولهم طاغية هو في حرب مع الترك ايضاً.

---

(١) وفي مخطوطة م: رأس

(٢) سُجنة زوجة التأكلي واولادها في مونكَكْس Munkacs زمن الحصار ١٦٨٥ ١٦٨٨ الى ان اطلق سبيلهم

(٣) بولونيا (3) Polonia

وزعموا ان الانبرادور كان يريد ان يدخل معه في حرب الترك جنس مسكوبيا وهم في بلاد من ناحية الشمال فحاول منهم ذلك الى ان اجابوه ثم وقع بينهم ما اوجب المنافرة والوحشة، ويزعمون ان طائفة من التتار قد وقع بينهم وبين اخوانهم منافرة وهم تحت عهد طاغية مسكوبيا بذمة، ويزعمون ان لهم عدداً كثيراً اخلا الله الارض من جميعهم وعمرها بدوام ذكره وتوحيده ونصر دينه القويم.

وجنس الاسبنيول عادة فيمن يريد الكبيرة ولم يظهر له من اين يدركها او لم تكن له يد عند المخزن يلحق بها ما يعيش به ويكفيه عن معاطاته الاسباب وغيرها بان يقصد بلاد المانيا على بعدها ويحضر هنالك الحرب مع المسلمين اعزهم الله ويجعل بيده اشهاداً وبيّنات تثبت له خدمته ونصيحته وبذل مجهوده، وحين يرجع الى بلاد اسبانيا يستظهر بالاشهاد الذي بيده ويدلي بحجة الخدمة وصدق النية فيما كان توجه اليه فيدرك بذلك من الكبيرة ما هو له اهل او مثل ما يدرك امثاله الذين لهم يد اولهم حجة يطلبون لها ذلك. وهي عوائد الشلظاظ الذين منهم يحبون الكبيرة.

وان كان من نسل اعيان اهل بلاده وكان لوالده لقب من القاب الكبيرة مثل الدوكي والكوندي او المركيس ومن دونهم في المنزلة ولم يكن لهم ميراث يرث به كبيرة والده يتقدم الى محلة من المحال واكثرها بلاد المانيا، فيحضر هنالك حرباً او لم يحضره، فحين ينقلب يأتي في يده باشهاد من رئيس المحلة بانه حضر معه حرب كذا في موضع كذا وابلى بلاء حسناً وفعل وفعل، سواء فعل ذلك ام لا، فيطلب منزلة او راتباً يتسع به حاله لان من عوائدهم في الميراث انما هو البكر من الولد ذكراً كان او انثى، فاذا مات احد الاعيان من الملقبين بهذا اللقب يورث ذلك للبكر بجميع متروكه بحيث لا يرث غيره معه من اخوانه شيئاً ولو كانوا بعدد كثير، وليس لهم الا ما يمنحهم

والدهم في حياتـه بعطية او هبة او صـداق يصدقـه للبنت، لان مـن عاداتهم اعطاء الصداق مع البنت.

فاذا كانت البنت هي الوارثة لكبيرة والدها وصادف تزويجها بعض من له لقب من القاب كبيرتهـم مثل لقبها او اكبر منه يتولى جميع ميراثها وتصير تلقّب هـي بلقب الزوج واذا صادف تزويجها بعض اولاد الاكابر ممن ليس له لقب ولـم يكن وارثاً لابيه يحصل هو بتزويجه اياها على كبيرتها ويصير ملقباً بلقبها، ومن اجل ذلك يتعطل تزويج بعضهم ممن ليس بوارث اشوّقه الى تزويج ابنة احد الاعيان ممن لها ميراث، واذا اذا لم يكن لها ميراث فعادتها في الصداق(١) هو ان يمنحها والدها مائة الف ريال لا يزيدها على ذلك بتقدير من الطاغية: ط:

((: الريال عند الاسبنيول هو جزء من عشرين من الدورو والدورو هو الريال المصطلح عليه عند أُمَم اخرى بكونه خمسين فرنكا او خمس اللويز الذهبي فيكون الصداق اعلاه هو عشرون الف دورو من قسمة مائة الف على ٥ يخروج ٢٠ الفا)) (٢) ط.

---

(١) يراد في الصداق عند النصارى البائنة La dote والفرق بين الصداق والبائنة هو ان الصداق شرعي الزامي والبائنة اختيارية يتفق عليها وتدفعها المرأة للرجل، بعكس الصداق الذي يلتزم الرجل شرعياً بدفعه للمرأة والبائنه بمعناها العام: هو ما يكون مع العروس من مالٍ وجهاز عند زفافها.

(٢) هكذا في الاصل والصحيح: فيكون الصداق اعلاه خمسة الآف دورو من قسمة مايـة الف على عشرين يخرج خمسة الآف. ط. وهذه القطعـة التي بين قوسين ساقطة مـن مخطوطة مدريد. فلاشك ان هذا التعديل وهذه العملية الحسابية من تعاليق الناسخ، فان «الفرنك» لم يكون معروفاً ولا مستعملاً في عهد المؤلف.

ولهم في الميراث عادات ليست جارية على قانون واحد في ميراث الكبيرة، مثل ما لوزير من وزراء طاغية اسبانيا يسمى كندي اسطابلي مع انه معروف عندهم في الكبيرة وذلك ان عادته الموروثة من عهد اسلافه اذا مات ولم يخلف ولداً ذكراً فان ميراثه وكبيرته لا يرثه احد من ذوي قرابته وانما يرثه رجل اجنبي من خدامه الاوّل منهم فالاوّل، فاذا مات ينظر الى خدامه الاسبق واقدم في الخدمة فيتولى جميع منزلته وكبيرته من وزارة وغيرها

واذا اختلف في اي خدّامه الاقدم والاسبق يعين ساعة معروفة ويخرج من داره من هو معروف عندهم بالامانة والثقة في دينهم، فحين يخرجون اول مار بهم يدعونه ويولونه تلك المنزلة سواء كان من ذوي الاقتدار او من سائر الناس فيأخذونه ويذهبون به الى طاغيتهم فيجثوا امام الطاغية ساعة، وبعد ساعة يأمره بالوقوف عن يمينه موضع الوزير المتوفى ثم يأمره بعد ذلك بتغطية رأسه وقد تولى تلك المنزلة واحتوى على جميع امتعته واملاكه وبلدانه وعمالته لان من عادة هؤلاء الاكابر الذين عند العجم لهم في يدهم ولايات ومدن ورثوها حين تغلبهم على هذه البلاد واعطوها تلك الساعة فلا تنزع من يد احد من خلف ذلك السلف الذي ولي شيئاً منها.

ولهذا الكندي بنت وُلداخ، لكنهم لا يرثون منه شيئاً لخلوهم عن عادة الميراث، وله ولدٌ ابن زنى فانه لا يرثه، وهو حاكم قالص اليوم.

* * *

ولهم عادة اخرى عند رجل يدعى البرينسيبي يبرسلونه من ناحية قطالونيا مات وخلف ابنة من اجمل اهل زمانها وخلف لها من الاموال والامتعة والذخائر والضياع والمدن والقرى مالا يحصى، وفي ميراثها منه جميع مختلفه وعهد ان لا يتزوجها الا من غلب

وقهر اترابه يحضرها بعد المحاربة، وحين توفي والدها وشاع خبر ميراثها في ساير اجناس اهل الصليب ورد جميع اولاد الاكابر والاعيان من كل فج يطلبون البراز امامها ويروم كل واحد منهم ان ينالها، واجل ذلك عندهم ستة اشهر، فحين يأتي الرجل الذي يريد البراز مع الغير ينزل خارج المدينة بعد ان يمر عليها وتراه وتعرفه ويتوعدون ليوم معلوم فيخرجون الى موضع المبارزة ويركب كل واحد من المتبارزين فرسه بعد ان يستعد ويلبس من الحديد والدروع ما يقدر عليه ويجعل في يده قناة مركباً في راس حربتها حجارة من اليمنط (١) بحيث تحبس في الحديد ويزهق عنه، ويقصد كل واحد منهما صاحبه ويضع القناة في صدره ويتدافعان فايهما اذرا صاحبه عن فرسه صار هو الغالب الى ان يغلب فينزل ناحية وتصير حينئذٍ المرأة هي التي تتفق عليه الى ان ينتهي امد الاجل المذكور ولا يبقى من يقوم لذلك القصد، فحينئذ يخرج المنعزلون ايضاً من جميع من غلب، ويتبارز رجل مع آخر. فاي ذلك العدد المنعزل غلب ايضاً صارت له الزوجة بالميراث الذي لها.

ولقد زعموا انه ورد من الاعيان جماعة وتبارزوا وكان بينهم شاب ابن عم طاغية الفرنسيس اعجبها حين رأته وبعثت اليه هدية وضيافة لم تكن من عادتها توجهها لاحد في اليوم الذي يقدم فيه ووقع بقلبها منه ما وقع.

فأن مثل هذه المسألة واشباهها من الأمور الجارية على غير قانون واحد هي عوائدهم في الميراث، كل وما يراه برأيه قبل موته.

وللرجل عندهم النظر في جميع ميراثه ومتاعه وماله ان احب ان يعطيه لاجنبي او اجنبية ويخلي اولاده من الميراث فلا حرج عليه في ذلك، واذا ورث متاعه الغير او ورثه الغير بمصاهرة بان يتزوج احد ابنته بعض من له لقب الكبيرة وكانت هي التي ورثت والدها

---

(١) ديامنط Diamante : الماس

وليس لزوجها لقب او كان له لقب دون لقب زوجته صار هو يدعى بلقب والد الزوجة ويحتوي على جميع ذخائره وامتعته، واولاد الرجل الموروث يلقبون غير لقب والدهم.

* * *

ومن اجل ميراث النساء على هذه الصورة صار هذا الجنس الاسبانيولي يتوقع تولية الفرنسيس عليهم باحدى الامرين: اما بالميراث اذالم يولد لطاغيتهم:

وذلك ان طاغية الفرنسيس كان تزوج ابنة فِليب كوارطو اخت هذا الطاغية (١) لابيه فولدت منه ولداً يسمى الدلفين (٢) ظهر له من المكر والخبث اكثر مما لوالده فاذا مات هذا الطاغية كرلوص سكوندو ولم يخلف من يلي ملك اسبانيا من نسله صار ملكها لولد طاغية الفرنسيس بالميراث من قبل امه (٣).

واما بما يظهر لهم اليوم من حربه معهم وتقدمه بنفسه الى المحال والحرب وعجز طاغيتهم عن التقدم بنفسه وعدم نهوضه في جميع زمانه الى حرب وقتال. وبسبب هذين الامرين وتوقعهم ولايته عليهم صاروا يتعلمون لسان الفرنسيس ويعلمونه اولادهم في المحافل والمحاضر من غير مبالات بطاغيتهم ولا اكتراث.

---

(١) هي ماريّا تاريزا ولدت سنة ١٦٣٨

(٢) الدلفين Delfín والاصل بالفرنسية Le Dauphin اسم كان يطلق على البكر من ابناء ملوك فرنسا، والمقصود هنا ابن لويس الرابع عشر وماريا تاريزا ولد سنة ١٦٦١

(٣) لقد صدقت تكهنات الوزير، فبعد موت كرلوص الثاني اعتلى عرش اسبانيا حفيد ملك فرنسا الامير فليب دي انجو باسم فليب الخامس وذلك بعد حرب طاحنة تعرف بحرب الميراث

وما وقع هذه السنة من الفتك بالفرنسيس وقتلهم اياه يثير بينهم من الحنق ما يشغلهم ويضرم نيران العداوة بينهم.

وقد كانوا فيما قبل موت البابا المتوفى هذا العام يزعمون انه كان يحاول صلحاً بينهم ثم مات، الاّ ان الفرنسيس حيث كان وقع بينه وبين البابا ماتقدم من المنافرة صار يحدث لنفسه احكاماً واموراً دون البابا.

وسبب مخالفة الفلامنك والانجليز لاديان الصليب فيما قيل ان بعض الفاريلية كان وقع له مع البابا تنافر ومشاحنة ادى ذلك الى ان سجنهم سنين، وحيث وقع لهم السراح نفروا من البابا وانحازوا الى طاغية الفرنسيس وصاروا يحدثون له من الديانات ما يوافق هواه الى ان جوّزوا له تزويج امرأة كان عشقها واحلّوا له اخذها مع زوجته الملكة،(١) وقد كان البابا نهاه عن ذلك ومنعه من التزويج مدة حياة زوجته. فخالف البابا في ذلك وعمل ما اشتهاه لنفسه (٢) ودعاه اليه قلبه، مع انه لا يحل لهم في دينهم تزويج اكثر من امرأة واحدة.

وهذا البابا المذكور لا يقدرون اهل الصليب على مخالفته في شيء قل او جل حيث كان يحدث لهم الديانات والاحكام والأكل في ايام الصيام وغير ذلك مما هو مخالف فيه لنصارى المشرق وان كانوا كلهم على ضلال، قبحهم الله واخلى منهم الارض.

الصوم الكبير

وذلك انه في صيامهم يأكلون اليوم كله ويزعمون الصوم كما شهدناهم وذلك

---

(١) هذه الحادثة التاريخية وقعت لملك الانكليز انريكوس الثامن الذي انشق عن الكنيسة الكاثوليكية وأسس المذهب الانكليكاني الانجيلي (البروتستنت الانكليكان) فقد نسبها المؤلف خطأً الى ملك فرنسا

(٢) وفي مخطوطة مدريد: وعمل ما اشتهته نفسه.

انه في آخر شهر فبراير (١) يجعلون اعياداً ومواسم، يحتالون فيها للصوم، فاذا كان اول يوم من شهر مارس فهو اوّل يوم من ايـام صيامهم وهي ستة واربعون يومـاً المفروضة على بني اسرائيـل والستة ايـام الزائدة هي كـل يوم احد دخـل في هذه الايام التي هي ايـام الصوم فيتحصل في ذلك ستة واربعون يوماً، وهذا الصوم الذي يصومونه ليس هو بامساك عن اكل او شرب او جماع، وانما هو امساك عـن اكل اللحم فيما يزعمون، الاّ من كان من الاعيان منهم او من به عذر من مرض فانه يأكل اللحم بأمر من البابا، وغيرهم من العموم يأكل الحوت في جميع ايـام الصوم وقد احدث لهم ايضاً فيما احلّه لهم اكل بيض الدجاج في ايام الصوم بعد ان يأخذوا الأذن من الفارايلية ويعطي على ذلك جعلاً معلوماً قدر ثمن ريال عن كل نفس صغيرة او كبيرة، فيحصل من ذلك مالاً كثيراً، للطاغية فيه الثلث يصرفه على سُفُنه البحرية فتجد الرجل المسكين الذي لا يملك درهماً يتطلب في الاسواق ليجمع ما يشتري به البولِـيَة (٢) وهي الأذن في اكل البيض واكلهم في ايام الصوم هو سائر اليوم، فاذا انتبه النصراني من نومه وقت الضحى او بعده يشرب كأساً او كأسين من الشكلاط مع ما يقدر عليه من البشكتو (٣) وهو خبز معجون بالسكر وصفرة البيض، فاذا انتصف النهار ومرت بعده ساعة يأكلون اكلاً ذريعاً، فمن كان من الاعيان الـذي لا حرج عليه او اعتذر بمرض يأكـل من اللحوم ما شاء ومن لـم يكن من الاعيان او نوى الصوم في عزمه يأكـل لحم الحوت والبيض وغيره ويشرب من الخمر ما شاء صرفا او

---

(١) وفي مخطوطة مدريد: فبريير.

(٢) البولِـية (البولا) (La Bola) التفسيح: الاذن الكنائسي الذي يسمح لحامله الأكل في الاصوام المفروضة لعذر يقدّمه

(٣) وفي مخطوطة مدريد: البشكوتشوا (3) Bizcocho

ممزجاً ومتى عطش يشرب على اختياره حتى اذا انتصف الليل يأكل من الطعام ما خفّ قدر نصف رطل في زعمه ويبيت الى الغد، وحين انتباهه من نومه يشرب على العادة وهكذا سائر ايام الصوم، الآ ان الفارايلية لهم أذن في الأكل ايام الصوم قبل انتصاف النهار بنصف ساعة وعذرهم في ذلك انهم يبيتون من الليل في تعب التهجّد والعبادة في زعمهم، وغير الفارايلية لا يأكل الاّ بعد انتصاف النهار.

ولهم في ايام الصوم يوم زائد على يوم الاحد في استماع الكفر والدخول الى الكنائس (وهو يوم الجمعة) رجالاً ونساءً، وعندهم من القربات ان يمشي الانسان ذلك اليوم راجلاً فينزل من على فرسه ومن كدشه ويتمشى ساعة ومتى عطش شرب، يستمرّون على صومهم على الوصف المذكور الى ان تمرّ ثمان وثلاثون يوماً، فتدخل عندهم الاعياد التي جمعوها في هذا الصوم حسبما يزعمون وقوع ذلك للمسيح في اعتقادهم، فاذا كان اليوم التاسع والثلاثون كان عندهم عيد الشعانين.

عيد الشعانين

وعيد الشعانين هو يوم دخول المسيح بيت المقدس على ما في انجيلهم المتداول بينهم، وان المسيح لما دخل بيت المقدس في ذلك اليوم خرج جميع بني اسرائيل لملاقاته وقد فرشوا الطرق والسكك بالجريد وورق الاشجار: وفيه كان بنو اسرائيل يتطلبون عليه شهادة ليمسكوه ويقتلوه فآمن به في ذلك اليوم جمعٌ كثيرٌ على ما هو مذكور في انجيلهم فلم يمكنهم امساكه ولا الانكار عليه في ذلك اليوم لكثرة من آمن به. فاعدّ النصارى ذلك اليوم عيداً يجتمعون فيه الى الكنيسة ويخطبون ويذكرون شأنه وما وقع له ويخرجون الصليب ويطوفونه في الازقة وفي يد كل واحد من الحاضرين جريدة من النخل اوعود من عيدان (١) الزيتون او غيره من الاشجار الرطبة اللينة كالرند وما اشبهه، ويردّونه الى موضعه.

---

(١) وفي مخطوطة مدريد: من اعواد

ولقد رأيتُ الطاغية ذلك اليوم وقد دخل كنيسةً في داره وسمع بها من الكفر والعياذ بالله ما القاه عليه وعلى الحاضرين القسّيس قيّم الكنيسة، وخرج بعد ذلك هو وجمع القسوس والرهبان السوبيسبو (١) ومعناه المفتي والنوسي (٢) الذي هو خليفة البابا وقد لبسوا الرهبان ثياباً فاخرة من الحلل المرصعة وفي يد كل واحدٍ منهم جريدة من نخل وقد حملوا صليباً من فضة اما منهم وعلى الصليب صورة مغطاة بكسوة من حرير وبين ايديهم جماعة من الفارايلية الصغار الذين يحسنون الغناء ومعهم آلة الطرب من الموسيقة وشبهها وفي يد الفارايلية ورقات يقرؤونها بالحانهم، وخلف هؤلاء الفارايلية اكابرهم وخلفهم الاعيان من خواص الطاغية وهو خلفهم وفي يده جريدة من نخل قد غشوها بالازهار، فطافوا به دار الطاغية وردوه الى موضعه بالكنيسة، وكذلك يجعلون في كل كنيسة من كنائسهم، فتلقي ذلك اليوم وبعده جميع النصارى وبيد كل واحد جريدة من نخل او عود من الزيتون او غيره من سائر الاشجار.

وفي ذلك اليوم حيث حضر الطاغية عيد الشعانين ولم تحضر معه زوجته بعث الينا يعتذر عن عدم خروجها وحضورها لمرض منعها عن الخروج.

وكان لنا بذلك علم، فاعتذر لنا من ناب عنه في الاعتذار، ومن الغد ايضاً يجتمعون في الكنائس ويخطبون ويذكرون ما وقع للمسيح بعد ما وقع للشعانين مع بني اسرائيل حيث كانوا يتألّبون عليه ويتشاورون في قبضه وقتله.

عيد الفصح

فاذا كان اليوم الرابع والاربعون كان عيد الفطر من الصوم وهو المسمى بالفصح

---

(١) السوبيسبو: الأرسوبيسبو Arzobispo رئيس الاساقفة

(٢) النوسي: يقصد النونسيو Nuncio : ممثل البابا، القاصد الرسولي

وفي هذا اليوم (عيد الفصح) يجعل الطاغية طعاماً معد المساكين ويدعوا ثلاثة عشر رجلاً من الفقراء ويخلي لهم بيته ويجلسهم في مراتبهم ويأتي السوبيسبو المفتي والنوسي خليفة البابا ويحضران مع الطاغية في تناوله الطعام للفقراء المذكورين بيده ويتصرف بين ايديهم في تقديم الاواني وتخليفها ورفعها مثل الخديم الذي يناول مخدومه حتى يدفع لكل واحد من الفقراء الثلاثة عشر ثلاثين آنية من الطعام ليس فيها من اللحم شيء لعدم اكلهم اللحم في ايام الصوم، وان كان اليوم يوم فطر من الصوم فانهم ادخلوه الستة الزائدة على الاربعين كما قدمناه، وانما يطعمهم الحوت على انواعه ويكمل عدد الثلاثين آنيه بانواع الفواكه الرطبة واليابسة حتى يطعمهم جميعاً ويناولهم الشراب والخمر، فاذا فرغوا من الطعام جاء رئيس الكنيسة وحبس في يده الطست، والنوسي خليفة البابا الماء، والطاغية يغسل اقدام هؤلاء الفقراء جميعاً وينشفهم بمناديل معدة لذلك (١) وعند فراغه من تنشيف اقدامهم يقبّل قدم كل واحد منهم ويعطيه كسوة ودراهم وينصرفون بجميع ما دفع لهم وبالطعام الذي فضل باوانيه فتجدهم يبيعون ذلك في الازقة بزحام لاعتقادهم في ذلك الطعام بركة. وكذلك تجعل زوجته وأمه، فكل واحدة منهما تطعم ثلاثة عشر امرأة من الفقراء على وصف طعام الفقراء الذين اطعمهم الطاغية.

وهذا الغسل في زعمهم على ما في انجيلهم هو قربة وسنّة فعلها المسيح فيما يرونه يوم الفصح، وذلك انّه لما كان يوم الفصح واحبّ المسيح ان يفطر من صومه، قال له تلامذته: اين تريد ان نعدلك لتأكل؟ فقال لهم: اذهبوا الى الموضع الفلاني سماهُ لهم، حتى يلقاكم رجل يحمل جرة ماءٍ فاتبعوه الى الموضع الذي يدخل اليه، وقولوا لرب الدار ان المعلّم يريد ان يأكل الفصح عندك. «فذهبوا

---

(١) يشير الى رتبة خميس الغسل والعشاء السري

ووجدوا الرجل الى مد جرة الماء متبعوهُ الى الموضع الذي وصفه لهم وقالوا ارب الدار: ان المعلم يقول لك اعدّله الفصح ليأكله عندك. فهيّأ ذلك الرجل الفصح، واتى المسيح مع تلامذته وهم ثلاثة عشر رجلاً، فأكل معهم الفصح. ولما فرغ من الاكل قام على قدميه وأخذ منشفة شدّ بها وسطه وجعل يغسل اقدام اصحابه واحداً واحداً، ولما انتهى الى سمعان الصفا قال له: انت تغسل له قدميّ؟، فقال له المسيح: ان الذي اصنعه لست تعرفه الان، ولكنك ستعرفه فيما بعد، فقال له سمعان: لست بغاسل لي قدميّ الى الابد. فقال له المسيح: الحق اقول لك ان لم اغسلهما فليس لك معي نصيب. فقال له حينئذٍ سمعان: ياسيدي لست تغسل لي قدمي فقط بل ويدي ورأسي. فقال له المسيح: فاذا كنتُ انا معلمكم قد غسلتُ ارجلكم فانتم احرى ان يغسل بعضكم اقدام بعض، وانما اعملتُ لكم هذا مثلاً لاني كما صنعتُ بكم تصنعون ايضاً.»

فهذا هو السبب الذي لاجله تُغسل اقدام هؤلاء الفقراء، وكذلك يجعل الاعيان والاكابر من له وجاهة ومال.

وقد زعموا ايضاً ان المسيح لما كان يأكل مع تلامذته الفصح قال لهم: ان احدكم هو الذي يُسلّمني الليلة. فجعل كل واحدٍ منهم يتبرأ ويحلف، وكان بين التلامذة الثلاثة عشر رجل يُسمّى يهوذا الاسخريوطي زعموا انه كان من التلاميذ ووسوس له الشيطان ان اتفق مع اليهود المتألبين على المسيح وباعه لهم بثلاثين من الفضة واسلمه لهم ليلة قُبض عليه اذ كان في البستان يصلي ليلاً واتى يهوذا هذا مع الحرس الذين اتوا لقبضه.»

ولمّا كان العيد خرج سائر النصارى والقسيسون والرهبان والخصوص منهم والعموم واخرجوا جميع ما عندهم من الصلبان والصور التي يعبدونها وطافوا بها في جميع ازقة المدينة وقد حملوا من الشموع الموقدة نهاراً ما لاعد له ولا

يقدر احد يترفع عن حمل الشموع والمشي امام الصلبان والصُوَر ويقصدون بذلك من كنيسة الى اخرى مظهرين مع ذلك حزناً وترحاً . وانه في زعمهم كذلك فعل بالمصلوب فيمرون بصورة المسيح في بستان يصلي وقد نزل عليه صورة ملاك في يده كأس المنية وهو يتلقاها بيده، ثم يمرّون بصورة اخرى ومعها من الحرس طائفة زاعمين انهم كذلك تألبوا على المسيح، ثم يمرّون بالصورة وقد حمل صليبه على كتفه، ثم يمرون به مصلوباً، ثم يمرون به بعد ذلك في نعش محمولاً بعد ان نزل من الصليب .

فمن النصارى من يمثل نفسه بذلك المصلوب فيغطي وجهه زاعماً انه يختفي ولا يعرف الاّ ان خلفه خديم له او صاحب يحفظه لئلا يلحقه غشيان من كثرة الجلد الذي يجلد ظهره فتجد الدم منحدراً على رجليه . وبعضهم يصلب نفسه وجسده فيربط يده ورأسه على عمود من حديد ويمر كذلك في الازقة ايام البرستسيون (١) وقد غطى وجهه لئلا يعرف . ومن الغد ايضاً يخرجون بصورة المصلوب وقد صلب، ويمرّون بعد ذلك به وقد انزل من الصليب، ثم يمرّون به وقد دفن في القبر ويقرؤون مع ذلك الحاناً محزنةً فيدخلون الكنيسة ويخفونه ويطفون المصابيح والشموع ويعلقون على الكنيسة ثياباً سوداً ويغلقون ابواب الكنائس، ولا يضرب ناقوس ولا يركبون كدشاً ولا فرساً مدة ايام البرستسيون وانما مشيهم في جميع الايام المذكورة على ارجلهم خصوصاً وعموماً وقد ذكروا: ان اكوان اوسطريا اخا هذا الطاغية المتقدم الذكر هو الذي منهم من الركوب ايام البرستسيون . ومن الغد وهو اليوم الثالث من الفصح عند منتصف النهار يفتحون الكنائس ويشعلون ويوقدون الشموع ويزيلون المعلقات السود ويبدلونها بالوان اخرى ويضربون النواقيس ويفرحون ويطبعون قراطيس صغاراً فيها صُوَر زاعمين انهم

---

(١) البرستسيون يريد البروسيسيون Procesión هو الزيّاح (التطواف)

صور الملائكة، ويكتبون بين الصور حروفا بالكلدانية وهي (أُلوليا) (١) ومعناها: افرحوا افرحوا. فحين تضرب النواقيس تتطاير القراطيس منهم ويتلقونها ويتهادونها بينهم فرحين مسرورين في ظنهم بشرى رفعه لاعتقادهم الفاسد: صلب المسيح ودفنه ورفعه من القبر. وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شكٍ منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً (٢): بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزاً حكيماً (٣).

ولقد اغتر هؤلاء الضلال بما هم عليه مصممون من الاعتقاد الفاسد والضلال البين والتنكب عن النهج القويم والمحجة البيضاء، ودلاهم الشيطان بغرور واضلهم عن سواء السبيل، فلقد تصمموا على الكفر ونهج بهم البابا قبّح الله سعيه منهجا جائراً عن الطريق هو ومن تبعه من ابناء جنسه الذين على مذهبه وطريقه مما يسري منهم الى العامة من الداء العضال والمادة التي لا يحسمها الا السيف، فان من عامتهم من اذا تكلم معه ويسمع عن الدين وما عليه المسلمون من النهج المستقيم يصغي الى ذلك ويشكره ويستحسنه ولا يأنف من سماعه كما شاهدناه منهم مراراً.

والمردة من طلبتهم ورهبانهم هم اشد عداوة واكثر قساوة واكبر الاشقياء تصمماً على الكفر والعياذ بالله فلقد لقينا من طلبتهم والفارابية الذين يدينون بهم جماعة وتكلمنا معهم في امور ما يدعونه من الدعوة في المسيح، تعالى الله عن قولهم، فوجدناهم افسد الناس اعتقاداً واكثرهم تصمماً، ولقد وجدتُ بمدريد راهباً من رهبانهم ورد من البلاد المشرقية يتكلم بالسان العربي (٤) وله خبرة ببعض اديان المشارقة من المسلمين لمخالطته

---

(١) هلّلويا

(٢) قرآن كريم: سورة النساء آية ١٥٥

(٣) قرآن كريم: سورة النساء آية ١٥٦ (٤) لم نتوفق الى معرفة اسم هذا الكاهن

معهم وسكناه بين اظهرهم، فتجاولنا في الكلام الى ان قلت له: ما تقول في المسيح؟ فقال: انه من الله، فقلت: «من هذه، ان قلت انه كالبعض من الكل جزأته والباري جلّ شأنه لا يتجزأ وان قلت انه كالولد من الوالد اوجبت ثانياً من الاولاد وثالثاً ورابعاً الى مالا نهاية له وان قلت على سبيل الاستحالة اوجبت فساداً والباري جلّ شأنه لا يستحيل ولا ينتقل من حال الى حال، فلم يبقَ الا ان يكون على سبيل الخلق من الخالق وهو الحق الذي لاشك فيه» فصمم الكافر اخزاه الله على ما عليه اعتقادهم واعتقاد البابا دمرهم الله من اعتقادهم الاستحالة، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

وهنا مقطع من فصل مؤلف من ثلاث صفحات أُثبِتَ في مخطوطة مدريد وكُتِب على الهوامش في مخطوطة تطوان: «فقد وصف فيه المؤلف بصورة مشوهة ارتداد (شاوول) بولس الرسول وتكلم عن اعمال الرسل الانجيليين، وتعرّض الى سر تجد السيد المسيح والى سلطة البابا الروحية وما يسنّه من الشرائع والاحكام، وذكر بعض مناظراته مع الرهبان في مدريد وتكلم عن طريقة الرهبان والكهنة في استعمالهم سر الاعتراف واورد بعض اخبار ملفقة لا فائدة من ذكرها، وختم كلامه في هذا الفصل قائلاً: فمع ذلك:»

فان فيهم رجالاً حسنة اخلاقهم يودّ لهم الانسان ان لو كانوا على طريق مستقيم (نسال الله العافية) كما شاهدته في الكنيسة الكبيرة المسماة بالاسكوريال رجل كبير السن حسن السمعة والاخلاق يظهر من البشاشة والبشر وحسن الملاقات مالا يعبر عنه وهو رجل كان كبير تلك الكنيسة واليه مرجع كلامها وامرها واحكامها واحكام المداشر التي حوالي الكنيسة والقرى المحسوبة عليها والمضافة اليها فترك تلك الرياسة وزعم انه رغب عن الدنيا وزهد فيها وودّع الكبيرة وحبها واسند ذلك الى تلميذ له يدعى دون ألونصو، وكان هذا الفرايلي القائم اليوم على الاسكوريال يظهر من

البشر والسرور وحسن الخطاب والملاقات شيئاً كثيراً، ولم يزل يتعاهدنا بعد المعرفة مدة مقامنا بمدريد بالزيارة حين يقدم على الطاغية بمنزلة كبيرة، وكانت ترد علينا رسائله من الاسكوريال.

الاسكوريال

وهذا الاسكوريال هو عبارة عن الكنيسة المتقدم ذكر سبب بنائها في عهد بانيها فليبِ سكوندُو اذ كان حاصر مدينة من مدن الفرنسيس ونصب عليها المدافع والبونبات، وكانت قبالة المدافع كنيسة لراهب يسمى لرنصوالريال فنذر ان يبني كنيسة اعظم منها فهدمها واصاب المدينة، وحين رجع بنى الكنيسة التي نذر بناءها في سفح الجبل الفاصل بين قشتالة الجديدة وقشتالة القديمة وهي على احد وعشرين ميلاً من مدينة مدريد، وبناء هذه الكنيسة وما اشتملت عليه من دار الطاغية وتوابعها كله من الحجارة الصلبة الشبيهة بالرخام منقولة من الجبل المطل على الكنيسة وهي حجارة كبيرة هائلة جداً.

زعموا انهم جعلوا ساعة البنيان قنطرة كبيرة متصلة من موضع الكنيسة الى رأس الجبل وكلها من خشب لتسحب القراريط الحاملة الحجارة على هذه القنطرة المذكورة وتوضع الحجارة في موضعها من غير تكلف لحمل الحجارة ليكون ذلك بسهولة، والآفهذه الحجارة هائلة جداً ولم يكن لهذه القنطرة المذكورة بقاء اثر يدل عليها الاّ انهم ذكروا انها كانت كلها من خشب فلا يمكن بقاؤها وهذا الجبل المذكور هو في غاية العلو والارتفاع وقدر ما بين الكنيسة ورأس الجبل في صعود ما يقرب من مسافة. وهذا الاسكوريال هو في غاية الضخامة والعلو وارتفاع السمك في الجو، وله من الناحية الغربية ثلاث ابواب: فالباب الوسط هو باب الكنيسة وما اشتملت عليه وفوق الباب

صورة من حجارة زعموا انها صورة الراهب أُريانصو الرُيال الذي بُنيت الكنيسة باسمه، والباب الذي عن يمينها ويسارها: هما بابان لدارين كبيرتين لقراءة الطلبة الصغار من الفرايلية الذيـن يتعلمون ويقرؤون علومهم وقراءاتهم، ولكل طائفة منهم علامة من ملف ازرق واحمر على كتفه على قدر ما بلغ اليه علمه مـن فنونهم.

واول قراءاتهم الفلسفة وما في معناها، وفي هاتين الدارين من المتعلمين عدد كثير يقصدون التعاليم من جميع نواحي مدريد وغيرها الاّ ان الموضع المصدر عندهم لتعليم وكماله بزعمهم هي مدينة اخرى يسمونها صالامنكة (١) على ثلاثة اميال (٢) من مدينـة مدريد فان من المعروف عندهم ان من لم يكمل علومه وقراءتـه ويحصّل دراية ذلك بمدينة صالامنكة فلا يعد عندهم بمحصل.

وجـل قراءتهم في حـال الصغر ما يلقونـه عليهم معلموهم من الكفريـات حتى يتدرّبوا على ذلك ويكون نصب اعينهم، ومن بعد ذلك يتعلمون الحساب وبعده الهندسة بلسان اللاتين، واللاتين(٣) عندهم هو بمثابة علم النحو عند العرب فلم يفهموه جميـع النصارى ممن لم يحصله في حال صغره، فتجد صغار النصارى يقصد بهم اباؤهم المواضع المعدة للقراءة مثل الاسكوريال وصالامنكة وما اشبههما.

والباب الكبير الوسط الذي يدخـل الى الكنيسة هو باب كبير هائل جداً به من النقوش والصنائع شيء كثير، ويقابل الداخل من الباب صحن كبير متسع وعلى الصحن سواري كبار جداً وعلى كل سارية منها صورة كبيرة من حجارة، واقد لبست

---

(1) Salamanca

(٢) هكذا في الاصل وهذا خطأ، فأن ما بين مدريد وصلامنكة مـا يقرب من مئة واربعين كيلو متراً

(٣) وفي مخطوطة مدريد: اللاطين.

الصور كساوي من جنس الصورة، زعموا ان جميع هذه الصور من حجارة واحدة وعدد التصاوير خمس، زعموا انهم ملوك ملكوا بني اسرائيل، ومكتوب على الصورة الاولى: هذا داود النبي. وعلى رأسه تاج من نحاس مموّه بالذهب زينته خمسة ارباع وفي يده الآلة التي احدثها ويزعمون انها هي التي كان يقرأ بها الزبور ويسمونه الآربة (١) وهذه الاربة هي آلة كبيرة من خشب تقرب من قدر قامة الانسان ولها من الاوتار نحو الستة واربعين وهي حسنة النغم لمن يحسن جسها ونقرها.

وهذه الاجناس من النصارى يستعملونها كثيراً ويعلمونها نساءهم واولادهم وبناتهم فقلما تجد داراً الآ وجميع اهلها يحسنون نقر الأربة ينقرونها اكراماً لمن يدخل عندهم واكثر من يستعملها بنات الاكابر والاعيان وابناؤهم وكذلك يستعملونها في كنائسهم وبيعهم ومواضع كفرياتهم، وهي اكثر ما يستعملونها من ضرب آلات الطرب، واما الآلة المسماة عندنا بالعود فلا معرفة لهم بها وانما يعرفون آلة اخرى تقرب منها الانكيطارة (٢) وهي اصغر من العود بقليل واوتارها تزيد على اوتار العود بوترين والأربَة هي احسن شكلاً من سائر انواع الطرب، وعلى يمين الصورة المكتوب عليها اسم داود النبي صورة اخرى مكتوب عليها: هذا سليمان بن داود، عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام. وعلى رأسه تاج من نحاس مُموّه بالذهب فيه خمسة ارباع وبيده عصا من نحاس مموّهة بالذهب ايضاً زنتها ثلاثة ارباع وعلى يمينه ثلاث صور اخرى مثل هذه الصورة ومكتوب على كل واحدة اسم ملك من الملوك العظام الذين ملكوا لذلك العهد. وبداخل الصحن بلاط كبير متسع، بطرفه من الناحية اليمنى مدارس كبيرة لسكنى طلبتهم والفرايلية، وعدد المدارس اربعة عشر مدرسة كل واحدة من العدد المذكور مشتملة على بيوت

---

(١) أَرْبَه: Harpe, Arpa, آلة طرب شبيهة بالقانون

(٢) الانكطارّة (الكيطارّه La guitarra)

عديدة وغرف من فوقها، وفي كل واحدة من المدارس المذكورة سقاية ماء وخضر وخصة كبيرة وسواري عديدة نحو العشرين سارية، وكل مدرسة تدخل الى اخرى وعن يسار الداخل من الصحن الى الكنيسة فيما يقابل باب المدارس باب يدخل منه الى دار الطاغية، وهي دار كبيرة مبنية كلها مع جدرانها وسقفها من حجارة الكنيسة وعلى صفة بنائها من الضخامة وارتفاع السمك وعلوه على قدر الكنيسة.

ولهذه الدار ثلاثة ابواب واحد من داخل الكنيسة والآخر من خارج الكنيسة والثالث من داخل البستان المجاور للكنيسة. ومن عادة الطاغية ان يسكن في تلك الدار شهراً واحداً في زمن المصيف لبرودة ذلك الموضع من كونه في سفح الجبل، والكنيسة بنفسها هي كنيسة كبيرة ذات سواري وبلاطات، ويقابل الداخل اليها صورة المصلوب التي يتعبدون بها وهي من فضة مموهة بالذهب.

وبوسط الكنيسة قبة عالية السمك والجو وهي في غاية الاتقان والصناعة مرتفعة على اربع سواري عظام، سعة كل ربع من ارباع السارية نحو الاثني عشر ذراعاً وفي كل ربع منها مجلس مفروش بالحرير والديباج يقعد عليه الفرايلي ساعة تعبده وصلاته.

وفي داخل هذه الكنيسة من القناديل الفضية والذهبية والنحاسية المموهة بالذهب عدد كثير، وبداخل هذه الكنيسة من انواع الجواهر والذخائر والنفائس الموقوفة، مالا قيمة له، وباعلى هذه الكنيسة موضع صلواتهم التي يقرؤون فيها الالحان ويسمونه الميسة وبها آلة الموسيقى التي يسمونها اوركانُ (١) وهي آلة كبيرة ذات قنانيط وحجاب كبار من رصاص مموهة تسمع اصوات عجيبة وقراءتهم في هذه المواضع واشباهها بهذه الآلة يزعمون انه زبور داود عليه السلام والتوراة المنزلة على موسى عليه وعلى نبيّنا الصلاة

---

(١) الأُرْكانُ: الارغن

(1) Organo

والسلام وتدينهم بالتوراة في زعمهم هي العشر كلمات (١) التي هم مشتركون فيها مع اليهود ويزعمون المحافظة عليها، وهي: النهي عن القتل والسرقة والزنى والدماء والاموال الخ.

وفي هذه الكنيسة من الفرايلية الكبار الذين يعملون الميسات (٢) والصلوات مايتان ومن غيرهم الصغار عدد كثير، وفي اعلى هذه الكنيسة تسع منارات كبار عالية السمك والجو، وفي كل واحدة منها ماكانات (٣) لمعرفة الساعات، والنواقيس الكبار التي تضرب في الاوقات عدد كثير يسمع لهم صوت على اميال يضرب على نوع من انواع الموسيقى، وعلى يمين الكنيسة خزائن كتبهم وعلومهم واديانهم والذخائر التي هي موقوفة على الكنيسة من عهد بانيها الى هلم جرا بحيث لا يقدر احد على التصرف فيها الا بالزيادة عليها والى هذه الخزانة كانوا نقلوا خزائن كتب المسلمين من قرطبة واشبلية وغيرهما وزعموا انها احترقت بالنار جميعاً فيما قبل الآن من عشرة اعوام وقد رأينا موضع الحرق في تلك الخزائن وقد اثر فيها وفي الكنيسة اثراً كبيراً وما زال الطاغية الى الآن مهتماً بترقيع ما افسدته النار ولولا ما بهذه الكنيسة من سقف الحجارة وعدم الخشب التي تسرع النار باحراقه لاتت على آخرها، ومع ذلك فقد صعدت النار الى رأس منار من منارات الكنيسة وهدمت من اعلى المنار حجارة كبيرة سقطت الى البستان المحيط بالكنيسة وهي حجارة كبيرة يعجز الآن عن رجوعها الى محلها

ويجاور الكنيسة ايضاً من ناحية الشمال موضع لدفن اسلاف هذا الطاغية من عهد والدباني الكنيسة كرلوص كينطو الذي كان ترهب، الى فيلبي كوارطو والد هذا، ومدفنهم

---

(١) الوصايا العشر.

(٢) جمع ميسة Misa: وهو القدّاس.

(٣) المَغْنَة والماكُنة: هي الساعة عند عامة المغرب (آلة)

في قبة في غور من الارض ينزل اليها بدرج عديدة من رخام احمر في غاية الاتقان وحسن الصنعة، ومقابرهم هي صناديق من رخام مموهة بالذهب وقد رفع كل صندوق منها بين سارية وعلى كل واحد منها اسم الطاغية المدفون به، وعدد من دفن بذلك الموضع خمس طواغيت ونساؤهم، كذلك اذ عادتهم ان لا يدفن بهذه المقبرة الا الطاغية الذي يخلف من يلي الملك بعده، واما من يمت منهم من غير عقب او لم يكن له ميراث للملك فان هؤلاء لهم مدفن آخر غير هذا، وليس هو مثله وهو مجاور له ايضاً وهذه هي عوائدهم في الدفن.

ويدور بجميع هذه الكنيسة جميع ما تحتاجه الكنيسة من الأمور التي يحتاجها السكان والعمار من آلات الاقوات مثل الارحى لطحن اقواتهم وموضع الطبخ ودار الدبغ وغير ذلك من جميع ما يكون بالحواضر، وبها من المخازن والديار المعدة للمعاجين الطبية والادهان والأشربة والمياه شيء كثير ويدور بجميع ذلك بستان كبير مشتمل على جداول وانهار واشجار بشكل عجيب وهو الى نظر الفرايلية، ويدور بجميع هذه الكنيسة وبستانها موضع مصيد الطاغية وقنصه يحيط به صور من حجارة في غاية الاتساع زعموا انه في دائرته مقدار ثلاثة وثلاثين فرسخاً وعلى مقدار كل مسافتين منها موضع فيه دار وبستان ليتقيل فيه الطاغية حين صيده وقد دخلت البعض منها حين وصولنا الى الاسكوريال اذا استدعانا الطاغية الى رؤيته حيث كان معجباً به.

وهذا الاسكوريال عندهم هو من الأمور التي يعدونها في بلادهم من الأمور الهائلة اذ ليس عندهم كنيسة اخرى على شكلها من بناءاتهم اعظم منها.

واما المساجد الاسلامية فلا يذكرون عظمتها ولا ضخامتها مثل مسجد طليطلة وقرطبة واشبيلية الشهير الذكر البعيدي الصيت وقد مر ذكر مسجد قرطبة في محله

وسنذكر مسجدي طليطلة واشبيلية (١) في محلهما ان شاء الله اذا كانت رؤيتنا لهما عند رجوعنا من مدينة مدريد حيث كان الطاغية مدة مقامنا عنده يجب تأنيسنا ويريد جلب الخواطر منا بالأمور التي يعلم انها عنده بمكانة من رؤية منتزهاته ومصايده وقنصه وبستانه واعياده وداره وبيوتها وغرفها وخزانة عدته وسلاحه وغير ذلك فلم يزل يتعاهدنا ويدعونا الى رؤية ما ذكر واشباهه.

فلقد عمل بداره اعياداً دعانا الى حضورها في داره الذي يسكن بها ثلاث ليال متوالية وقد اعدّ لنا مجلساً في قبة مرتفعة لا يساميها غيره وجميع الاعيان والاكابر والدوكيس والكنديس (٢) وغيرهم من خواصه حضور، ويخرج بعد ذلك هو وأمه وزوجته وبين يديه بنات الاكابر والاعيان وقد حملوا بين يديه من الشموع عدة فاذا وصلوا الى محل جلوسه وقابل المجلس الذي نحن فيه يستقبلنا ويزيل ما على رأسه على هيأة سلامهم ويقعد هو وزوجته عن شماله، وأمه عن شمالها، ويأتي اهل الطرب من نساء ورجال فيعملون ما هو من عوائدهم في طربهم وغنائهم الى ان ينتصف الليل فحين يفرغون ويريدون الانصراف يقوم الطاغية اولاً ويزيل ما على رأسه ايضاً بعد ان يرفع رأسه الى مقعدنا وينصرف كل واحد الى مقره وموضعه، وكان يسأل بعد ذلك من كان يتصرف بين ايدينا من خدامه ويبحث عن حال انشراحنا ولا يريد ان يغيب عنه شيء من امورنا، وسؤاله عنا كل يوم.

ومن جملة منتزهاته ومتصيداته التي يقصدها كل عام في شهر ابريل فيقيم بها قريباً

---

(١) لم يقم الوزير بوعده، فقد ذكر مسجد طُلَيطلة ولم يذكر مسجد اشبيلية الذي وعد بوصفه في محله

(٢) الدوكيس والكنديس: جمع دوكي وكندى بالاسبانية Condes, Duques

من شهر هو وعياله والخصوص من خواص اصحابه وخدّامه موضع يسمّى ارانخويس،(١) وحين انصرف اليه في هذه السنة على عادته وكان عمل امر ما نحن بصدده بيد وزيره ورأس ديوانه الكردينال، فكنا نتكلم معه ونحثه على سفرنا ونستعجله ونعزمه، وكان الطاغية يريد وفودنا عليه حيث هو في ارانخويس قاصداً بذلك تفرّجنا ورؤيتنا اذ هو عنده من احسن متنزهاته فوجه الينا يوماً رئيس كتاب الديوان يقول ان طاغيته يريد منكم الوصول اليه حيث هو لتشرحوا خواطركم بما هنالك من البساتين والصيد، فاجبناه عن ذلك بتشوقنا الى سفرنا ولم يبقَ لنا أرب في متفرج ولا متنزه لبطئنا عن الرجوع الى بلادنا ومرادنا هو التشييع اذ فيه جلّ مرامنا ومنتهى قصدنا، فانصرف عنا وكتب اليه بجوابنا اليه. فبعد يومين رجع الينا بأمر عظيمه يقول له فيه وصولنا اليه حيث هو لقصد التنزه والتشييع حيث صحبنا من القلق ما انهاه اليه هو وغيره من خدامه الموكلين بنا وقد امر الكوندي الموكل بنا مع الترجمان الحلبي النصراني بمصاحبتنا الى حيث هو اذ لا يمكن احد الوصول حيث هو من غير اذن ولا مشورة.

فانصرفنا ضحوة اليوم الذي خرجنا من مدينة مدريد وسرنا تسعة اميال دخلنا فيها ثلاث قرى الاولى على مسافة من المدينة تسمى بيردي بلسانهم ومعناها الخضراء لما اشتملت عليه من الغروس والبساتين وهي قرية صغيرة قريبة من الحضارة. وبعدها بمسافة اخرى قرية تسمى البنطة وهي اكبر من الاولى. وبعدها قرية تسمى بلد المورو وهي اكبر من القريتين المذكورتين فوجدنا بها داراً معدة للنزول فنزلنا فيها الى ان اجتاز الحر وركبنا عشية اليوم فسرنا تسعة اميال اخرى واشرفنا على المنزه المسمى ارانخويس الذي قصدنا اليه فلقينا بالقرب منه خيل بعثها الطاغية للملاقات والسلام علينا وقالوا انه ظن قدومكم

(١) Aranjuez

عليه وسط النهار وقد اعدّ لكم فرجةً ترونها عند وصولكم، وحيث ابطأ عنه خبركم بعث من يتلقاكم.

فكان وصولنا قرب الليل ولم يكن معنا شيء دون المبيت فانزلونا داراً مشرفة على جميع ذلك المنتزه تنتسب لوزيره الكردينال، وبتنا بها تلك الليلة بعد ان اتانا من خدامه من رحّب وسلّم وناب عنه في البشر وحسن الترحيب.

*
* *

ومن الغد بعث الينا، فدخلنا بستاناً له هنالك، وقد حفّ به واديان كبيران ومجمعها يسمّى وادي طاخوا وهو المار بمدينة طليطلة من هذا الموضع بعد مروره بنحو مسيرة يوم. وهذا البستان هو غاية في جداوله واتساقه ونظم اشجاره وقد اشتمل على ازهار وانوار ودو اليب وصهاريج وبرك مياه على كل صف وبه مقاعد في غاية الاتقان والحسن مطلة على الوادي من كلا الجانبين، ومن هذا البستان دخلنا على الطاغية في دار له بعد ان بعث لملاقاتنا جماعة من خواصه وحين دخلنا عليه وجدناه قائماً على قدميه وعن شماله زوجته ومعها جماعة من بنات الاعيان وعن يمينه وزيره وبين يديه خواصه وخدامه، فسلمنا عليه بسلامنا المعتاد من قول: السلام على من اتبع الهدى، ورحّب وسلّم على عادته ووجدنا بيده براءة كتبها لسيدنا المنصور بالله فقبلها ودفعها الينا بعد ان استخبرنا عن احوالنا وعن القلق الذي بلغه عنا فاظهرنا له من العذر مافهم منا من كوننا لم يمكنا البطء عن سيدنا نصره الله، فقال: حيث اظهرتم العذر لا نلزمكم مقاماً بعد ان احببتم الانصراف وتوبوا عنا في السلام اللائق بالمقام الشريف ونحن نرجوا الخير في الاسارى الذي عنده، وكل ما يعرض لمقامه العالي(١) عندنا نقضوه حباً وكرامة اجلالاً لمنصبه

---

(١) وفي مخطوطة مدريد: العلي

وسأل الترجمان هل لهم غرض نسرع لقضائه؟ فاظهرنا من الإعراض عن ذلك ما هو لائق بالمنصب الاسلامي والحمد لله.

وانصرفنا من عنده بعد ان شيّعنا ودفع لنا الكتاب الذي كتبه لمقام سيدنا المنصور بالله وبعد ذلك الحقنا بعض خواصه يستفهمنا هل لنا غرض بالمقام بذلك المنتزه اياماً بقصد الاصطياد والتنزه، فاجبناه بتطاير قلوبنا الى وطننا وان لا تمكننا الاقامة بعد ذلك اليوم ساعة وكان هو يريد الرجوع الى مدريد من الغد فبعث الينا عشية ذلك اليوم ومن صبيحة الغد القيمين على ذلك الموضع وعلى القنص وخرجنا معهم الى القنص فاذا فيه من الايل والقنين شيء كثير فساعفناه في ذلك لغرضه، ومن الغد رجعنا الى مدينة مدريد بقصد التأهب للسفر والاستعداد.

*
* *

الخروج من مدريد — الرجوع الى المغرب

وكان خروجنا من مدريد في اليوم الاول من رمضان المبارك من عامنا هذا، (١) وقد امر الطاغية من اصحب معنا من خدّامه بمرورنا على مدينة طليطلة لنشاهد مسجدها الجامع الذي هو من عجائب الدنيا في بنائه وذكره وبعد صيته فبتنا يوم خروجنا من مدريد بقرية يقال لها وشقة (٢) وكانت من حواضر العدوة التي لها ذكر ودار علم ونباهة، وهي اليوم قرية متبددة وبها من اثر البناء القديم الاسلامي بعض اثر مثل الباب الذي

---

(١) عام ١١٠٢ هـ

(٢) وشقة (ويسكا Illescas)

كان يدخل اليها منه حين كانت في عهد عمارها من اهل الاسلام مدينة، واما اليوم فالتبدي اقرب اليها من التحضر وبينها وبين طليطلة احد وعشرون ميلاً.

طُلَيْطُلَة

وطليطلة هي مدينة كبيرة قاعدة من قواعد مدن العدوة، ودار ملك قديم وهي على ربوة من الارض في حافة مطلة على الوادي المسمى طاخوا، وهو الوادي المار بأرانخويس المتنزه المتقدم الذكر، وقد احاط هذا الوادي بالحافة التي عليها المدينة من ثلاثة ارباعها والربع الموالي البر هو الآتي من طريق مدريد.

واسوار هذه المدينة وحيطانها وازقتها باقية على حالها من عهد عمارتها من المسلمين، واثرها اثر الحضارة الآن اكثر ازقتها ضيقة جداً ودورها باقية على حالها من البناء الاسلامي وتفصيله والنقش في السقف والحيطان بالكتابة العربية. ومسجدها الجامع من عجائب الدنيا، اذ هو مسجد كبير مبني كله من الحجارة الصلبة القريبة الشبه بالرخام وسقفه مقبوه من الحجارة، وهو في غاية ارتفاع السمك وعلوه في الجو وسواريه في غاية الضخامة والصناعة العجيبة والنقوش، وقد احدث النصارى في هذا المسجد من جوانبه زيادة في الوسط بشبابيك من نحاس اصفر وفيها من تصاويرهم وصلبانهم وآلة الموسيقى المسماة عندهم اوركانُ التي يضربون بها وقت صلواتهم مع الكتب التي يقرؤونها في الصلوات شيء كثير، وقد جعلوا امام هذا الشباك صورة المصلوب وهو من ذهب يقابلونها في صلواتهم، وامام المصلوب مصابيح كثيرة من ذهب وفضة توقد ليلاً ونهاراً مع شموع كثيرة كبيرة.

وابواب هذا المسجد في غاية الاتقان والصناعة وقد زادوا فوقها من الصور ما هو من عوائدهم التي لا يمكنهم تركها، ومن الزيادة المحدثة في جوانب هذا المسجد بيوت

كثيرة كبيرة مشتملة على خزائن من الاموال كثيرة فيها من الذخائر والاحجار الملوّنة مثل الياقوت الاحمر والابيض والاصفر والزمرد والتيجان المرصعة بالدر الفاخر والاحجار النفيسة التي لها بال ولا تقوّم بمال.

ومع هذه الذخائر تاج كبير من ذهب ومعه سواران من ذهب زعموا ان ذلك من عهد المساميين رحمهم الله، وعن يمين هذه الخزائن خزانة فيها كتاب كبير مكتوب بماء الذهب زعموا انه كتاب التوراة وهو عندهم في غاية الحفظ والصون والاعتناء لا يخرج من موضعه الذي به.

وذكروا ان فيليبي كوارطو (الرابع) الذي هو والد هذا الطاغية احبّ اخراجه من هنالك وان يكون عنده بعد ان اعطاهم فيه مدينة كبيرة بخراجها وجميع منافعها، فلم يعطوه فيه كلاماً لغنهم به.

وعن يمين هذه الخزانة ايضاً خزانة اخرى فيها صندوق كبير مرصع مشحون بالحوائج الفاخرة من الذهب المرصعة مثل الهوايات والقلائد والسلاسل والخواتم الثمينة، وعن يمينه صومعة من فضة تزيد على قامة الانسان وداخلها وجامورها من الذهب المرصع بالاحجار النفيسة الملوّنة. وقد عمل هذا المنار على شكل منار مسجد طليطلة وعلى هيئته ومثاله وهو عندهم زينة يخرجونه في اعيادهم مع الصلبان التي يطوّفونها في الازقة على عوائدهم في الابرستسيون (١) وما اشبهها، وهذا المنار الذي بهذا المسجد اعاده الله الاسلام وعمل هذا على شكله هو من اعاجيب البناءات صناعة وعلواً فقد اشتمل على ثلاث مائة درجة منها مائتان الى موضع التأذين ومائة الى رأس الجامور وفي موضع التأذين جعل اعداء الله تعالى من النواقيس الكبار تسعة نواقيس كبار جداً دائرة كل ناقوس منها ست وثلاثين شبراً في غلظ حرفه ثلاثة ارباع، الذراع وبناء هذا المنار كله من الحجارة

(١) يريد: البروسيشيون (تقدم شرحه)

الصلبة التي تشبه الرخام من جنس الحجارة التي بني المسجد منها نسأل الله تعالى ان يعيده لتوحيده وذكره، وفي حوالي هذه الخزائن ايضاً من الخزائن المشحونة بالقناديل الذهبية والفضية والصلبان المرصعة والثياب التي يلبسها الفرايلية واكابر القسوس والشمامس والرهبان التي طرزت بالجوهر النفيس شيء كثير، وهؤلاء الرهبان الذين في هذه الكنيسة هم جميعاً الى نظر الكردينال الذي هو اليوم اكبر كردينال عند المسيحيّة وهو الذي تحت البابا كما تقدم التنبيه عليه وعلى البابا، وحيث كانت طليطلة هي من قواعد مدن اسبانيا ودار ملك قديم كان الكردينال الذي يتولى امر كنيستها هو اكبر سائر من يلقب بالكردينال عند عبدة الصليب، وهذا الكردينال الموجود اليوم هو رأس ديوان اسبانيا واليه ينتهي جميع امرهم في دينهم المنكب وفي امر دنياهم ومشورتهم واحكامهم كلها اليه، وكلامه هو مع الطاغية وعن رأيه يصدر كتاب الديوان جميعاً.

وفي طليطلة اثر القصبة التي كان يسكنها الملوك قبل هذا وقد احدث من سكنها بعد التغلب الاخير عليها، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

* * *

وقاعدة طليطلة هي كانت دار ملوك العجم من الاول هي واشبيلية واليها كان قصد طارق رحمه الله بوجهته حين دخل العدوة بعد مروره بقرطبة ولم يعرّج على غيرها حتى انتهى اليها ووجد بها من الآثار التي تدل على مكانتها من الخزائن والاموال ما لا حصر له، ومن جملة ذلك المائدة المشهورة، الآن بعض اهل التاريخ يزعم ان المائدة لم تكن بمدينة طليطلة وانها كانت بموضع آخر قريب من طليطلة يسمّى وادي الحجارة وان طارقاً رحمه الله لما فتح طليطلة خرج الى الموضع المعروف بوادي الحجارة

قرب الفج الذي كان يُنسب اليه خلف الجبل حتى بلغ مدينة المائدة وسُميت بذلك لوجودها بها وهي المنسوبة الى سليمان بن داود عليهما السلام. وقيل انها كانت من زبرجدة خضراء حافاتها منها وارجلها وانها كان لها ثلاث مائة وخمس وستون رجلًا والله اعلم، وقيل فيها انها كانت من ذهب مرصعة وهو الاقرب، قال:

فلما تيقن طارق ان موسى بن نُصير لاحق به وانه سيسمع خبرها ويطلبه عنها قلع رجلًا من ارجلها ليستظهر به عند امير المؤمنين الوليد اذا ادّعى موسى انه فتح البلد واصاب المائدة.

ثم انصرف من مدينة المائدة الى طليطلة وقيل انه ادرب فى وجهته هذه من طليطلة واقتحم ارض جليقية (١) وبلغ الى مدينة استرقة (٢) ثم انصرف الى طليطلة وذلك في سنة ثلاث وتسعين من الهجرة فلم ينزل بها حتى وافاه موسى بن نصير مولاه.

ودخول موسى الى العُدوة كان في سنة ثلاث وتسعين، ودخل معه ثمانية عشر الفاً من قريش والعرب ووجوه الناس فطلب دليلًا من العجم يدل به الى المدن التي لم يفتحها طارق ووعده على ذلك بالهباء والجزاء فدل به الى قلعة زعواق من عمل اشبيلية فبدأ بها، وكان طارق لم يعرج عليها ثم صار منها الى لبلة (٣) ثم الى باجة (٤) ثم الى اكشونبة (٥) على سيف البحر فافتتحها اجمع سلماً ثم خرج من ذلك القطر على الفج المنسوب اليه من حوز القنت فانقطع اليه اهل ذلك الموضع فاقرهم على حالهم فسموا موالي موسى، ثم سار حتى انتهى الى طليطلة.

---

(١) جليقية (1) Galicia

(٢) استرقة (2) Astorga

(٣) لبلة (3) Niebla

(٤) باجة (4) Béjar

(٥) اكشونبة (اكشبونة) (5) Ocsonoba

فلما بلغ وادي المعرض اعترض جيوشه، فسمي الوادي بذلك فعرف من معه، فلما قرب من طليطلة خرج اليه طارق بن زياد ونزل بين يديه اعظاماً له فغضّ موسى منه علانية واظهر ما بنفسه عليه وقنعه السوط ووبخه على استبداده عليه وانما كان امره ان لا يمعن، فاعتذر طارق اليه وخضع له وقال انما انا مولاك وقائد من قوادك ما فتحته واصبته فانما هو منسوب اليك واستلطفه حتى رضي عنه واحضره المائدة التي كان اصابها في المغانم، وقيل انها كانت من ذهب منظومة بالدر والياقوت والزمرد وهي التي يزعم الناس انها مائدة سليمان بن داوود عليهما السلام، ولم تكن كذلك فاتاه بها ناقصة الرجل وكان قد اختلسها طارق، فسأله موسى عنها فقال له هكذا اصبتها واحضره ما صار عنده من الخمس وكان عظيماً فزاد رضاه عنه وامره بالتمادي والمضي الى الثغر.

وبقي موسى بطليطلة حتى ضحّى بها سنة دخوله، وقال عبد الملك بن حبيب يرفعه الى علي بن رباح التابعي الداخل مع موسى وكان من خيار التابعين: انه لما اتصل بموسى ان طارقاً فتح ما فتح من بلاد الاندلس حسده وعزّ ذلك عليه وغضب عليه فعبر حتى تجاوز قرطبة التي كانت اكبر قواعد ملوك العجم واشهرها مع قربها من الساحل، وكان خروجه من افريقية في رجب سنة ثلاث وتسعين، فعبر الى الاندلس في شهر رمضان منها، فقيل ان عبوره كان من مدينة تونس وقيل من جبل القردة المعروف بجبل موسى من قرب سبتة.

* * *

فلما التقى موسى بطارق عتب عليه ثم ترضاه فرضي عنه ووجد عنده من السبي والذهب والفضة والجوهر ما لم يفتح مثله على المسلمين في غزوة قط، قال ولقد كان الرجلان من الداخلين مع طارق رحمه الله يجدان الطنفسة منسوجة بقضبان الذهب والفضة

منظومة بالجوهر والياقوت والزمرد فلا يستطيعان حملها ولا يتفقان عليها فيأتيان بالفأس فيضربان وسطها حتى ينقطع ويأخذ كل واحد منهما شقاً منها على غير مبالغة ولا تحقيق في قسمها والناس مشتغلون في كل جهة بمثل ذلك.

وقال عبد الملك بن حبيب عن الليث بن سعد: ان انساناً جاء الى موسى لما وصل الى ناحية طليطلة فقال له ابعث معي ادلّكَ على كنز، فبعث معه رجالاً فوقف بهم على موضع وقال لهم اكشفوا هاهنا فظهروا على كنز كبير مترع بالجوهر والياقوت والزمرد والزبرجد، فحين رأوه بهتوا وارسلوا الى موسى ليحضر.

وقال عبد الملك بن حبيب ايضاً كان ورود موسى بن نصير اولاً الى افريقية اذ عقد له عليها عبد الملك بن مروان قبل توصيله الى الاندلس في البربر وكان اصاب فيهم سبياً عظيماً بعث الى عبد الملك بخمسه منهم فكان ذلك عشرين الفاً، ثم غزاهم غزوة ثانية فحصل منهم في خمس امير المؤمنين عشرين الفاً ايضاً فاعجب عبد الملك بذلك، فكان يكتب اليه يؤكد عليه في ذلك وفي موالاة غزوهم وفتح ما وراءهم حتى فتح الله عليهم الاندلس في ايام امير المؤمنين الوليد بن عبد الملك.

قال الرازي: قال عبد الملك بن حبيب: دخل الاندلس مع الامير موسى بن نُصير رجل واحد من اصاغر الصحابة رضي الله عنهم وهو: المنيذر الافريقي لم ينسب باكثره من الافريقي اذ كان يسكن افريقية، وروى عنه ابو عبد الرحمان الحلبي قال: حدّثني المنيذر وكان صاحباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من قال رضيت بالله رباً وبالاسلام ديناً وبمحمد نبياً فانا زعيم له فلا خذنّ بيده فلادخلنّه الجنّة.

*
* *

والذي دخل الاندلس من التابعين على اختلاف الرواية: موسى بن نُصير

البكري وعلي بن رباح اللخمي وحيوة بن رجاء التميمي وابو عبد الرحمان عبد الله بن زياد الانصاري الحلبي وحنش بن عبد الله بن عمر بن حنظلة السبائي وهو الصنعاني نسبة الى صنعاء الشام ويكنى ابا رشدين وكان من خيار التابعين، وكان مع علي بن ابي طالب رضي الله عنه بالكوفة وتوفي بسرقسطة ودفن عند باب اليهود بقربى المدينة، وكان قبره معروفاً عندهم مشهوراً.

وقفل سائر التابعين بقفول موسى بن نُصير وبعده، وهؤلاء المسمون لا اختلاف في دخولهم مع موسى ومشاهدتهم معه المغانم والمقاسم في السبي والمتاع والارضين والرباع، وخروج بعضهم معه وبعده والمختلف في دخوله منهم مع موسى حيوة بن رجاء التميمي في اقل الروايات، وابو سعيد الصدفي (١) اكثر الروايات، وروى عن عمرو بن العاص فاختلفت الروايات في التابعين الداخلين فمنهم من قال انهم اربعة وهو الذي لا اختلاف فيه ومنهم من قال خمسة بالصدفي المختلف فيه.

قال محمد بن مرين: وجدتُ في خزانة باشبيلية سنة احدى وسبعين واربع مائة، ايام الراضي بن المعتمد سفراً صغيراً من تأليف محمد بن موسى الرازي سماه بكتاب الرايات ذكر فيه دخول الامير موسى بن نُصير وكم راية دخلت الاندلس معه من قريش والعرب فعدها نيفاً وعشرين راية منها رايتان لموسى بن نصير عقد له احدهما الامير عبد الملك بن مروان على افريقية وما وراءها، والاخرى عقدها له امير المؤمنين الوليد بن عبد الملك على افريقية ايضاً وما يفتحه وراءها الى المغرب وراية ثالثة لابنه عبد العزيز الداخل معه وسائر الرايات لمن دخل معه من قريش ومن قواد العرب ووجوه العمال وذكر فيه سائر البيوتات ممن دخل دون راية.

وقال فيه ان موسى بن نصير اجاز بمن معه من العرب من جبل القردة وهو الموضع

---

(١) في بعض النسخ: الصرفي

المعروف اليوم بمرسى موسى الى جهة الخضراء يرومون التوغل في الاندلس فاقاموا فيها اياماً مريحين ومصلحين من شأنهم، وحين عزم على الحركة منها جمع حوله رايات الاعراب ووجوه الكتائب وتفاوضوا في الرأي وكيف يكون دخولهم فاتفق رأيهم على المشي الى اشبلية وان يبدوا بغزو ما بقي من غربها الى اقصى سائر البحر اكشبونة وافتتاحه، فقيل ان اجتماعهم لهذا المشهد الكريم كان في الموضع الذي كان مسجد الرايات في الجزيرة الخضراء وانه باجتماع الرايات في ذلك اليوم سمي وبها سمى الرازي كتابه، وقال ان موسى بن نصير رحمه الله لم يبرح موضعه ولا فارق مشهده حتى امر بتخطيط الموضع واتخاذه مسجداً، قال محمد فمشوا على رأيهم وفتحوا غرب الاندلس الى اقصى اكشبونة.

وحين تمّ افتتاح المسلمين قسمها موسى بن نُصير البكري التابعي بين الجيوش الذين دخلوها كما قسم بينهم سبيها ومتاعها وسائر مغانمها واخرج من ارضها ورباعها الخمس، كما اخرجه من سبيها ومتاعها واختار من خيار السبي وصغاره مائة الف وحملهم الى امير المؤمنين الوليد بن عبد الملك، وترك سائر الخمس من كبل والسبي ووخش الرقيق في الخمس من الارضين يعمرونها ليثلث مال المسلمين وهم اهل البسائط وكانوا يعرفون الاخماس واولادهم بنو الاخمس.

قال: واما سائر النصارى الذين كانوا في المعاقل المنيعة والجبال الشامخة فاقرهم موسى بن نُصير على اموالهم ودينهم باداء الجزية وهم الذين بقوا على ما حيز من اموالهم بارض الشمال لانهم صالحوا على جزء منها مع اداء الجزية في ارض الثمرة وارض الزرع على ما فعله خير من اقتدى به صلى الله عليه وسلم بيهود خيبر في نخيلهم وارضيهم، قال: فلم يبقَ بالاندلس بلدة دخلها المسلمون باسيافهم واصبحت ملكاً لهم الاّ قسم موسى بن نصير بينهم اراضيها الاّ ثلاثة بلاد وهي شنترين وقلنبرية في الغرب

وشية في الشرق وسائر البلاد خُمست وقُسمت بمحضر التابعين الذين كانوا مع موسى ابن نُصير وهم حنش الصنعاني والحبلي وابن رباح، ثم توارث اراضي الابناء عن الاباء والذي ذكره الناس والعلماء من ارض(١) وارض العنوة بالاندلس فانما هو مال الخمس هو ارض العنوة وما صولحوا عليه فهو حال الشمل من ارض وشجر لا سائر اموال الناس.

وقال بعض علماء السلف بأمر الاندلس: ان اكثرها انما فتح صلحاً الا الاقل من مواضع معروفة وانه لما هزم لذريق لم يقف المسلمون بعد ذلك ببلد الا اذعنوا الى الصلح ولذلك بقي الروم فيها على ارضهم واموالهم يبيعون ويباع منهم، ولما وصل خبر فتحها الى امير المؤمنين الوليد ووفد عليه موسى وجماعة من المستفتحين الاندلس معه يستأذنونه في اخلائها والرحيل عنها الى اوطانهم فقربهم وآنسهم واقطعهم الاقطاعات فيها واقرهم على(٢) ولم يجعل لهم سبيلاً الى الخروج منها ولا اوسعهم عذراً في اخلائها وردّهم اليها والى جيرانهم بجوابه.

فلما ولي امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه الخلافة زاد اعتناءه بها وانزلها عن عمال افريقية وافرد لها عاملاً، فبعث اليه السمح بن مالك عاملاً فوردها في جند سوى جندها الاوّل فاراد النزول معهم في اموالهم ومشاركتهم فيما بين ايديهم فوفد لهم وفد على امير المؤمنين عمر وشكوا اليه ذلك ورغبوا اليه في الرجوع الى بلادهم وادالتهم بمن ورد معه فمنعهم من ذلك وانسهم وعقد لهم واشهد في عقدهم على اقرارهم في اموالهم واقطع الواردين مع اقطاعات غيرها وقال: هذه الثغور الهندية لولا اقطاعات عمر بن الخطّاب رضي الله عنه الجند فيها لم يسدها فكيف بتلك الناحية، فانا نستخير الله في اجلاء المسلمين عنها، ثم انه لم ينفّذ ذلك ليبلغ الكتاب

---

(١) ناقص كلمة في الاصل

(٢) ناقص كلمة في الاصل

اجله، وفي رواية اخرى ان ابن نُصير قسّم وخمّس بعض البلاد واعجلته حركته منها وان سأل امير المؤمنين الوليد فيه عن استيفاء ذلك، فلما ولاّها امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز السمح بن مالك الخولاني امره ان يخمس ما بقي منها ففعل ذلك واخرج الى جهات من تولاّه وانفذه في كل ناحية، قال: ثم وردت طائفة اخرى من الذين فتحوا الاندلس مع موسى بن نُصير وطارق بن زياد مولاه على الوليد بن عبد الملك فاقرهم على ما قسم بينهم وسجّل لهم به واقطع من دخل الاندلس بعدهم من الخمس اقطاعات كثيرة وقال عبد الملك بن حبيب: لمّا ولي الاندلس السَّمح بن مالك الخولاني سنة مائة في خلافة امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه دخل معه الاندلس جيش من العرب فارادوا النزول مع الاولين والمشاركة معهم في رباعهم واموالهم، فشخصت منهم طائفة الى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه واخبروه بما صنع موسى بن نصير من قسم الارض بعد اخراج الخمس واقرار الوليد لهم على ذلك واستظهروا بسجلاته التي سجلها لهم فاقرهم امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز على ما اقرهم عليه الوليد بن عبد الملك وعلى ما قسمه بينهم موسى بن نُصير وامضى لهم ذلك من امره وسجّل لهم بمثله وكتب لهم الى السمح بن مالك بالوقوف عند عهده وامضاء ما امر لهم به، وانصرفوا الى من تخلفوه مسرورين ومبشرين بما لقوه من فضله وعدله، وكتب الى السمح ان يقطع الجند الذين دخلوا معه من الاخماس، قال غيره من العلماء لم تزل اموال الاخماس بالاندلس معلومة معمورة لبيت مال المسلمين مدة الامراء فيها ثم في دول الأيمة من بني أُمية تعمر باسمائهم ايضاً الى ان ثار الرؤساء في كل وجهة وكثرت الفتن فعمرت (١) تلك بطول المدة واختلاف الدول والولاة، والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين.

وقال الرازي عن عبد الملك بن حبيب: وفي مستهل سنة اربع وتسعين دخل موسى

(١) ينقص كلمة في الاصل

رحمه الله الى بلاد افرنجة فاوغل فيه حتى انتهى الى مفازة كبيرة وارض سهلة ذات، (١) فاصاب فيها صنماً عظيماً قائماً على سارية مكتوب عليها بالنقر كتابة عربية قُرئت فاذا هي: يابنيَّ (٢) انتهيتم فارجعوا، ذلك، وقال ما هذا الآ لمعنى كبير وانصرف بالناس قافلاً حتى احتلّ قرطبة فضحّى فيها اضحى هذه السنة المؤرخة، قال واتصل بامير المؤمنين الوليد بن عبد الملك تلوّم الامير، وسى بن نُصير بالمسلمين في الاندلس وتقحمه بهم ارض العدو من غير مؤامرة فاقلقه ذلك وبعث مولاه مغيثاً اليه وامره ان يعنفه ويقفله الى افريقية، فقدم مغيث على موسى وهو في قرطبة فوهبه موسى الموضع الذي ينسب اليه في عهد المسلمين وهو بلاط مغيث بجميع ارضه من ارض الخمس وغزى مغيث الى جليقية فاستبطأ الوليد قدوم موسى واستقصر مغيثاً فبعث رسولاً آخراً يعرف بابي نصر الى الاندلس وامره ان يتوكل بموسى بن نصير حتى يصدره اليه، فورد عليه في صدر سنة خمس، قال غيره وقد جاء في اثر ان موسى بن نُصير خمّس قرطبة وخرج في خمسها البطحاء التي بقبليها، التي هي اليوم مقبرة.

فلما ولىّ عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه السمح بن مالك الاندلس امره ان يجعلها مقبرة للمسلمين، وكان السمح بن مالك هذا من خيار اهل زمانه ثقة وعدالة. روى احمد الرازي في تاريخه وهي رواية اخرى في صحة تخميس الاندلس، قال عبد الملك بن حبيب يرفعه الى بعض التابعين الداخلين بالاندلس، قال: كان الخلفاء من بني أمية اذا وردت عليهم الجبايات استقدموا مع جباية كل موضع عشرة رجال من وجوه رجالها وخيارهم فلا يدخل بيت المال من الجباية لادينار ولادرهم حتى يحلف الوفد بالله الذي لا اله الآ هو ما فيها دينار ولادرهم أخذ الآ بحقه وانه فضل اعطيات اهل البلد من العيال والذرية، قال: فأتى وفد افريقية بخراجها في آخر ايام سليمان، قال: فلما امروا ان

---

(١) بياض في الاصل (٢) نصف سطر بياض في الاصل

يحالفوا حلف ثمانية ونكل رجلان وهما : اسماعيل بن عبيد الله مولى بني مخزوم والسمح بن مالك الخولاني، فاعجب عمر بن عبد العزيز بفعلهما، فلما ولي الخلافة ضمهما الى نفسه فاختبر منهما ديناً وخيراً فولى اسماعيل بن عبيد الله افريقية، وولى السمح بن مالك الاندلس وامره ان يخمّس ما بقي من ارضها وعقارها ويخرج منها خمس الله تعالى ويقرّ القرى بايدي اربابها، وان يكتب اليه بصفة الاندلس وبحرها وانهارها وهيئة مجازها، قال وكان رأيه ان يقفل اهلها منها لانقطاعهم من وراء البحر عن المسلمين.

قال : فقدم السمح الاندلس وعزلها عن افريقية بامر امير المؤمنين عمر، وميّز ارض العنوة من ارض الصلح ليصح الخمس فينزل القسم بتخميس قرطبة واخرج البعوث بمثل (١) واخرجت البطحاء المعروفة بمصلى بقبلي قرطبة في الخمس، فلمّا اكمل السمح ما اراد خاطب امير المؤمنين بما عمله في ارض العنوة وارض الشمل وهي التي فتحت صلحاً فان اهلها صُولحوا على الجزية مع اجزاء من الارض منها مثالثة ومرابعة كيف ما كان طيب الارض وغلتها، حسبما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في خيبر، ويستأذنه في بناء القنطرة من صخر السور فانه كان لا يُعرف يومئذ في جهة قرطبة مقطع صخر، فورد جواب امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز بان يجعل البطحاء التي حصلت في الخمس بقبلي قرطبة مقبرة وان تبنى القنطرة من صخر السور ويجبر ما تثلّم منه باللبن، فصارت البطحاء المذكورة مقبرة للمسلمين من يومئذ من خبّاسة امير المؤمنين عمر رضي الله عنه، قال : وكذلك القنطرة من بنيانه ايضاً.

ومن بعض فضائل التابعين المشاهدين لفتح الاندلس مع موسى بن نصير على ما حكى بعض الرُّواة انهم لما غزوا افرنجة وصاروا من غزاتهم تولى حنش بن عبد الله وابو عبد الرحمان الحبلي تأسيس جامع قرطبة وتجديده بالبناء وقوّما محرابه واسساه بايديهما.

---

(١) ينقص كلمة في الاصل

وورد في الاثر انها روضة من رياض الجنة بقيت الى(١) بني امية، وبني بنياناً اخراً ام يهدم المحراب ومشى على حمر خشب الى ان وقف في موضعه اليوم تباركا به لما تولّيا بنيانه بايديهما رحمة الله عليهما، فهو كذلك الى اليوم، قال: ولما اكمل هذان التابعان بناء الجامع على ما تقدم انصرفوا مع اميرهم موسى بن نُصير واجتمعوا في جبل المائدة على النهر بقبلي طليطلة ودعوا لاهل الاندلس. وقد جاءت في فضلهم واجابة دعوتهم آثار كثيرة منها ان موسى بن نُصير حاصر حصناً من حصون شرق الاندلس بضعاً وعشرين ليلة ولجّ في قتاله فلم يقدر عليه لمنعته وحصانته فلما طال عليه ذلك نادى في الناس قال: فظنّنا ان قد بلغته مادة عن العدو وانه يريد التحول عنه فاصبحنا على تعبئة، فقام فحمد الله واثنى عليه ثم قال: ايها الناس اني متقدم امام الصفوف فاذا رايتموني قد كبّرت وحملت فكبروا واحملوا فقال الناس سبحان الله ان هذه لغفلة يأمرنا ان نحمل على الحصن وما لا سبيل اليه واين المجال قال: فتقدم امام الصفوف حيث يرى الناس ورفع يديه الى السماء واقبل على الدعاء والرغبة والتدرع والبكاء ونحن وقوف ننتظر وقوفه وتكبيره ثم كبّر وحمل الى سور الحصن وكبّر الناس معه وحملوا فانهارت ناحية من سور الحصن التي تليه من الحصن وجالت الخيل على هدمه وفتحه الله عزّ وجلّ على اوليائه وعبيده المسلمين قال: ومنها انه قال: قاتل حصناً آخراً كان فيه العدو عدد ظاهر وعدة ظاهرة فاقتتلوا قتالاً شديداً وجال المسلمون جولة عظيمة، فامر موسى بن نصير بسرادقه فكشط عن نسائه وبناته ليبرزهنّ واقبل على الدعاء وحمي المسلمون والتحم القتال ففتحه الله تعالى عليه وكان يغزو باهل بيته، يرى ان ذلك اقرب لاجابة دعوته.

* * *

(١) بياض في الاصل

وهذه نبذة من اخبار رجوع موسى بن نصير الى المشرق

ففي صدر سنة خمس وتسعين ورد ابو نصر رسول امير المؤمنين الوليد بن عبد الملك الموجه في طلب الأمير موسى بن نُصير فامره بالرحيل وخرج من قرطبة معه ومع طارق ومن معه من التابعين وكل من اراد الرجوع والتخلف عن الاندلس، وترك معه حبيب بن عقبة بن نافع الفهري موازراً له واقام معهما بالاندلس كل من اراد سكناها في مواضعه التي كانوا اختطوها واستوطنوها، وقفل معه الرسولان مغيث وابو نصر حتى احتلوا اشبيلية فاقر موسى فيها ابنه المستخلف على الاندلس لاتصالها بالبحر نظراً لقربها من مكان المجاز وركب موسى البحر مع جماعة القفال فمضى لسبيله راجعاً الى المشرق وهو متلهف على مافاته من الجهاد، متأسف لما لحقه من الازعاج، وذلك في شهر رمضان منه يعني خروجه من اشبيلية.

قال عبد الملك بن حبيب يرفعه الى ابي نعيم التجيبي: لمّا خرج موسى بن نُصير من قرطبة بعد ان وصل اليه رسول امير المؤمنين الوليد واخذ بعنان دابته يخرجه من الاندلس على ما امره به.

قال: فلما فج الماء من وراء شقندة انبعث موسى الى قرطبة راجعاً تحته بغلة شهباء، ومعه التابعون ووجوه الناس حتى بلغ الفج واطلّ على قرطبة فوقف وقال: ياقرطبة حبذا انتِ ما اطيبك واطيب ليلكِ ونهاركِ ما احسن اعتدال هوائك، ثم ردّ وجه دابته على طريقه وخرج من اشبيلية بعد ان صام وعيّد فيها عيد الفطر.

وقال عبد الملك توجه موسى بن نصير يريد المشرق فطوى القيروان ولم يدخلها وضحّى اضحى هذه السنة بقصر الماء على ميل منها، وكان الناس قد قحطوا واجدبوا جدباً شديداً فخرج موسى بالناس واستسقى وخطب في الناس فلما فرغ من خطبته قيل له: ألا تدعو لأمير المؤمنين قال: ليس هذا اليوم ذاك، فسقوا سقياً كثيراً، قال: ثم

مضى الى امير المؤمنين ومعه طارق وكل ما اصاب من الاموال والجواهر والغنائم وخيار الشي نساء وصبياناً والمائدة قيل انها قوّمت بمايتي الف دينار بما فيها من الجوهر قال: وذكر بعض اهل الاخبار في امر المائدة انها سيقت من بيت المقدس في الزمن الاول وذلك ان اوّل من احتل قاعدة الاندلس واختطها وملكها اشبان بن طوبال ابن يافث بن نوح عليه السلام، وبه عُرفت الاندلس اصبانيا، وانهم كانوا اكثر من مائة ملك ملكوا على تاريخ اربعة الآف سنة من هبوط آدم عليه السلام، وعلى تاريخ الف سنة من الطوفان وهو اوّل ملك اليونان فيها: وان اليهود لما ادّعت قتل عيسى بن مريم عليه السلام حميت النصرانية حيث كانت، فكاتب ملكها وكان صاحب الاندلس منهم يسمى بطرش وقيل هرقلش فآلى ان يلقي من زبل الاندلس في بيت المقدس، فغزا من الاندلس واحتمل كثيراً من الزبل، وغزا ايضاً ملك رومة وملك ارمينية وتحركوا على موعد واحتل جميعهم بيت المقدس وحاربوا من كان فيه حتى غلبوا عليه وقتلوا من اليهود مائة الف وسبوا مائة الف وفرقوا في الافاق مائة الف، واقتسموا ما وجدوا في البيت من الفوائد والغرائب النفيسة، فخرج في سهم ملك الاندلس يومئذ المائدة، وانها التي وجدت بجهة طليطلة وخرج في سهم ملك رومة حلّة آدم وعصى موسى عليهما السلام وخرج في سهم ملك ارمنية ياقوتة ذي القرنين وقيل ايضاً انها الياقوتة التي اصابها موسى بن نُصير مع الفيلة في ماردة وانها وقعت في يد ملك الاندلس مع المائدة فاصابها موسى في طليطلة وما ردة كانت تضيء منها. وحمل جميع ذلك الى امير المؤمنين الوليد، قال: وفيما رواه عبد الملك بن حبيب السلمي ان نحت نصر (١) حشد جميع

---

(١) في سنة ٥٨٦ ق. م. أغار نَبُوكَدْنَصَّر على اورشليم فاحرقها وجلا اهل يهوذا الى بابل.

اقطار الارض لحرب بيت المقدس فكان فيما حشد ملك الاندلس، فحضر الغارة ووقعت في سهمه مائدة سليمان فجاء بها الى الاندلس.

قال: ثم دخلت سنة ست وتسعين ففيها لحق موسى بن نُصير بجميع مغانم الاندلس بحضرة امير المؤمنين الوليد قبل وفاته بشهرين او نحوهما، فاحضر موسى بين يديه جميع ما يحمله وقدّم المائدة فاهداها اليه وادعى انه اصابها، فكذّبه طارق وقال: بل انا اصبتها، والدليل على ذلك هذه الرجل الناقصة منها معي، ثم اخرجها فصدّقه الوليد وقبل قوله واعظم جائزته واقام موسى قبل الوليد حتى توفي.

قال: فلما مات امير المؤمنين الوليد وولي امير المؤمنين سليمان اخوه اخذ موسى بن نُصير ومن كان معه من عمّال المغرب بما بلغه من اقطاعاتهم لقرى الاخماس وما علوا فيه من الحال، ففرموا وأُغرِمَ موسى مائة الف طلبة . . .

بها مائة الف فاستجار بيزيد بن المهلّب، وكان سليمان بن عبد الملك يجد على موسى بن نصير ابداً ويسميه الشيخ الكذّاب من اجل ما ادّعى انه اصاب المائدة وكان ذلك مما يعاب به سليمان فان موسى لم يكن كذّاباً ولا كذب في قوله انه اصاب المائدة فان كان هو لم يشاهد امرها فانما اصابها عامله ومولاه والموجّه لذلك بسعيه وامره، كما ان فتح الاندلس انما ينسب اليه.

فهرس جغرافى

باسماء المدن والقرى والاماكن الوارد ذكرها بهذه الرحلة

مع ما يقابلها باللغة الاسبانية

INDICE GEOGRÁFICO

de los nombres de ciudades, aldeas y lugares mencionados en este viaje, con su correspondiente en español

Ceuta . . . . . سبتة

Gibraltar . . . . . جبل طارق (جبل الفتح)

Tarifa . . . . . طريف (طريفة)

Algeciras . . . . . الجزيرة (الجزيرة الخضرآء)

Cádiz . . . . . قالص (قادس)

Santa María (Puerto de) . . . . . شنتمرية (سنتا ماريا)

Ronda . . . . . الرندة

Sanlúcar . . . . . سان لوكار

Jerez (de la Frontera) . . . . . شريش (ده لافرنطيره)

Lebrija . . . . . البريجة

Utrera . . . . . أطريرة

Marchena . . . . . مرشينة

Guadalquivir . . . . . الواد الكبير

Sevilla . . . . . أشبيلية

Ecija . . . . . ايسكا (ازيخة)

obeikandl.com

ويسكا (ويشكا) . . . . . Huesca

واد آش . . . . . Guadix

غرناطة . . . . . Granada

قُرطُبة . . . . . Córdoba

سييرّا مورينة . . . . . Sierra Morena

بيـاسة . . . . . Baeza

جيـان . . . . . Jaén

مالقـة . . . . . Málaga

الكاربي (الغربيّ) . . . . . El Carpio

أَنـدوخَر . . . . . Andújar

المريَـة . . . . . Almería

لينـارس . . . . . Linares

كرمونـة . . . . . Carmona

طُرّي اكوان ابان (خوان اباد) . . . . . Torre de Juan Abad

مانشا (مانتشا) . . . . . Mancha (La)

قوصرا (أُوصيرا) . . . . . Orcera

بينطة سان اندريس . . . . . Venta de San Andrés

المنريلية (المنبرية) . . . . . Membrilla

منسنارس . . . . . Manzanares

المَاكرو (المغرو) . . . . . Almagro

مـورا . . . . . Mora

وادي طاغو (وادي طاغو) . . . . . Tajo (Río)

بكنص (بركاص) . . . . . Bargas

خطافي . . . . . Getafe

obeikandl.com

Madrid	مدريد (مجريط)
Retiro (El)	الريطيرو
Pardo (Palacio de El)	البردو (قصر)
Manzanares (Río)	منسناريس (نهر)
El Escorial	الاسكوريال
Plasencia	بلاصينصيا
Toledo	طُلَيطُلة
Consuegra	سويقرا
Ayamonte	أيامُونطي
Medina Sidonia	مدينة صيدونية
Valladolid	بلَيادوليد
Olvera	البيرة
Medina Celi	مدينة سليس
Barcelona	برشلونة (برسلونة)
Alicante	أَليقَنْتي
Salamanca	صالامَنْكَة (طلامنكة)
Aranjuez	ارانخويس
Verde	بيردي (الخضراء)
Illescas	وشقة
Guadalajara	وادي الحجارة
Béjar	باجة
Zaragoza	سرقسطة
Niebla	لَبلَة
Yjar	ايخر

obeikandi.com

بلنسيـــة . . . . . Palencia.

بلـد المورو . . . . . Balad El Moro

شنترين . . . . . Santarén

قلنبريـــة . . . . . Coimbra

شيـــة . . . . . Ejea

مدينة المائدة , r , , , , , , , , , , , , , , , Almeida

استرقـــة , , , , , , , , , , , , , , , , , , Astorga.

قلعة زعواق (قرب اشبيلية) , , , , , , , , , , , , Zaguac .

اكشونبة (اكشبونة), , , , , , , , , , , , , , Ocsonoba

الاندلس, , , , , , , , , , , , , , , , , , Andalucía

نبـارّى , , , , , , , , , , , , , , , , , , Navarra.

قشتالة القديمة , , , , , , , , , , , , , , Castilla La Vieja

قشتالة الجديدة , , , , , , , , , , , , , , Castilla La Nueva

اليـــون , , , , , , , , , , , , , , , , , León

راغون (اراغون), , , , , , , , , , , , , , , Aragón .

قطالونيـــة (قطلونيا) , , , , , , , , , , , , Cataluña

جليقيـــة , , , , , , , , , , , , , , , , , Galicia .

obeikandl.com

جـدول

شـرح الاصطـلاحـات والتعـابيـر المغربيّـة الـوارد ذكرهـا بهـذه الرحلـة

INDICE

de las locuciones y expresiones marroquíes citadas en este viaje.

المخزن : الحكومة المحلية

رجال المخزن : رجال الحكومة المحليّة

مخازني : شرطي (بوليس وطني)

المشوار : (السراي) دار الحكومة

المحلة، المحال : الجيش في العموم، ويطلق الاسبان اليوم هذا الاسم على فرق منظمة معاومة من الجيش المغربي المحلي

الاحباس : الاوقـاف

المدشروالدشرة : القـريـة

الحوت : يطلق على عموم السمك

الرقّاص (رقاقيص) : ساعي البريد

براوات : جمع براءة وهي الرسالة : رسائل

الكسكسو : لون طعام مغربي مشهور جداً (تقدّم وصفه)

المعانة والمكّانة : الساعة، (آلـة)

القصبة : القلعة المحصّنة (حصن)

obeikandl.com

obeikandl.com

فهرس

الالفاظ والتعابير الاسبانية التي استعملها المؤلف في كتابة
رحلته واثبتها محرفةً او معجمة

INDICE

para las palabras y expresiones españolas que el autor empleó en la redacción de su viaje, conservándolas alteradas o aljamiadas

كوشطة	:	الشاطئ	: Costa
شلظاظ	:	الجند	: Soldados
شلظاظ اهل الوَرْدِيَة	:	الحرس	: Soldados de Guardia
كنبينطو	:	الدير	: Convento
ميسة (ميسات)	:	القداس	: Misa (Misas)
منكاص (منخاص)	:	الراهبات	: Monja (Monjas)
الامكالصوص (دمكلصوص)	:	طريقة رهبانية الحفاة	: Descalzos
نوسي، نونسيو	:	القاصد الرسولي، ممثل البابا	: Nuncio
السوبيسبو، ارسوبيسبو	:	رئيس اساقفة	: Arzobispo
كونديس : جمع كوندي	:	لقب من القاب الشرف	: Conde (Condes)
دوكيس : جمع دوكي	:	من القاب الشرف	: Duque (Duques)
لوبو	:	ذئب	: Lobo

obeikandl.com

سـرّه	:	ثعلب	: Zorra
بينطـة	:	نزل، فندق	: Venta
فـريَـة	:	معرض: سوق جامعة	: Feria
غَليرة	:	عجلـة	: Galera
بَـلاَصِيُو	:	قصر	: Palacio
مـا يوردوم	:	قَيِّم قصر الملك: قهرمان	: Mayordomo
انباشادور	:	سفيـر	: Embajador
كندسطابلي	:	رتبة حكومية تعادل قائداعلى للجيش	: Condestable
برنسيبي	:	اميـر	: Príncipe
كران دوكي	:	الدوقي الكبير	: Gran Duque
بلاصا مايور	:	السوق العامة: الكبيرة	: Plaza Mayor
راي تشيكو	:	الملك الصغير	: Rey Chico
ميلا كروس	:	عجائب: خوارق	: Milagros
كاسيطة	:	جريـدة	: Gaceta
فرايلي فرايلية	:	راهب، رهبان (رهابين)	: Fraile (Frailes)
كليويكِ كليريكُس	:	اكليريكي: اكليروس	: Clérigo (Clérigos)
ضـامات	:	سيـدات	: Damas
شمريره	:	قبعـة	: Sombrero
الأربـة	:	آلة طرب تشبه القانون	: Arpa
أركـانو	:	آلـة طرب: الارغن	: Organo
البروسيسيون	:	التطواف: (الزيّاح)	: Procesión
انكطارة كيطارّه	:	آلة طرب تشبه العود	: Guitarra

openkandil.com

كونفيصور	:	الاعتراف	:	Confesor
اريكس اريخس	:	هراطقة	:	Herejes
باسطون	:	عصا، قضيب الاناقة	:	Bastón
بولية—بولا (اذن كنائسي	:	يبيح لحامله الأكل في ايام الصوم)	:	Bula
انكيسيشيون	:	ديوان التفتيش	:	Inquisición
كودشه	:	عربة (سيارة)	:	Coche

obeikandl.com

obeikandl.com

فهرس وتراجم

الأعلام الوارد ذكرها بهذا المؤلف

INDICE Y BIOGRAFIAS

de los personajes citados en esta obra

أبو حيان
٦٥٤ – ٧٤٥هـ

اثير الدين ابو عبد الله محمد بن حيان الاندلسي الغرناطي النفزاوي (١) أديب، شاعر، لغوي نحوي. له تآليف قيمة ورحلات عديدة الى المشرق، توفي بمصر. ولد عام ٦٥٤ مات ٧٤٥هـ

Abú Hayan
(654-745 h.)

Athir Ed-din abú Abdelah Mohamed ben Hayan el Andalusi el Granadino en Nafzaui (1). Literato, poeta, filólogo y gramático. Escribió muchas obras y realizó numerosos viajes a Oriente. Nació el año 654 h. y murió en Egipto el año 745 h.

ابن حميا (محمد)
قُتِل عام ١٥٦٨م

اسمه الحقيقي فرناندو دي فالور، كان رئيس عرب غرناطة عندما اهاجوا ثورة على الملك فليب الثاني قُتل سنة ١٥٦٨م

Aben Húmaya Mohamed
(Muerto el año 1568 J. C.)

Su verdadero nombre es Fernando de Valor. Fué el jefe de los musulmanes de Granada que se sublevaron contra el Rey Felipe II. Fué muerto en el año 1568.

(١) نسبة الى احدى القبائل المغربية

(1) De la cabila marroquí de Nafzaua.

obeikandl.com

Yaber ben Labid	Notable andaluz. Era el gobernador de Olvera en el reinado de Abderrahmán ben el Hakam.	جابر بن لبيد من وجهاء وعيون الاندلس كان والي إلبيرة في عهد عبد الرحمان بن الحكم
El-Yaziri *(Murió entre los años 395 y 398)*	Abdelmalek ben Idris el Yaziri. Escritor, poeta, literato y uno de los más elocuentes. Dejó cartas y poesías célebres. Fué uno de los ministros de la dinastía Amirit. Murió entre los años 395 y 398 h.	الجزيري توفي بين سنة ٣٩٥ و ٣٩٨ هـ عبد الملك بن ادريس الجزيري كاتب، شاعر، اديب يعدُّ من فطاحل البلغاء، له رسائل واشعار مشهورة، كان من وزراء الدولة العامريّة، توفي بين سنة ٣٩٥ و ٣٩٨ هـ
Hassana Et-tamimia	Literata de Olvera y poetisa andaluza célebre. Dejó numerosos trozos y cartas en verso. Vivió en Olvera bajo el reinado de Abderrahman y dedicó varias poesías a su alabanza.	حسّانة التميمية اديبة من إلبيرة، ومن شويعرات الاندلس المثقفات، لها مقاطع ومراسلات شعرية كانت في إلبيرة في عهد عبد الرحمان بن الحكم ولها فيه مدائح شعرية
	Es Hamda hija de Ziad de Guadix, poetisa anda-	هي حمدة بنت زياد الوادآشية من شواعر الاندلس المعدودات

Hamda la Andaluza

luza célebre. Dejó varias polémicas literarias y noticias y cartas en verso.

حمدة الأندلسيّة

المشهود لهنّ بعلوّ الطبقة في جنسهنّ، لها كثير من المناظرات الأدبية والاخبار والمساجلات الشعرية

El alepino Cristiano

Maronita de Alepo, Siria del Norte. Era el intérprete de Carlos II, Rey de España. Acompañó en Madrid y sus alrededores a la comisión marroquí presidida por el visir el Gassani, y sirvió de enlace entre la comisión y las autoridades españolas. El autor lo citó con elogio varias veces.

الحلبي النصراني

ماروني من حلب (سوريا الشمالية) كان ترجمان ملك اسبانيا كارلص الثاني، قد رافق في مدريد وضواحيها السفارة الاسماعيلية التي ترأسها الوزير الغساني وكان صلة التفاهم بين الوفد المغربي والسلطات الاسبانية ذكره المؤلف مرات عديدة واثنى عليه

Es Abú Bakr Mohamed ben Zakariya Er-Razi, conocido por galeno de los árabes y el más célebre médico de su época. Era además literato, poeta e historiador. Se ocupó

هو ابو بكر محمد ابن زكريا الرازى الملقّب بجالينوس العرب، امام الطب والاطباء في عصره وكان ايضاً اديباً، شاعراً مؤرخاً، اشتغل بالفلسفة،

Er-Razi
(Falleció el año 311 h.)

también de filosofía. A pesar de su sabiduría, era humilde y amable con los pobres. Escribió muchas obras y fué el primero en tratar de la viruela y del sarampión.
(El Gassani se refiere a Mohamed Ben Ahmed Er-Razi, célebre historiador y geógrafo andaluz.)

وكان على سعة علمه متواضعاً محبّاً للفقراء محسناً اليهم. وللرازي مؤلفات عديدة جداً وهو اوّل في الف في الجدري والحصبة. وهنا يقصد المؤلف محمد بن احمد الرازي الاندلسي المؤرخ والجغرافي الشهير

الرازي
توفي
سنة ٣١١ هـ

Es-Samh ben Malek
(Muerto el año 103 h.)

Es el emir del Andalus. Es-Samh ben Malek el Jaualani el Hiyaui. Fué nombrado gobernador del Andalus bajo el reinado del príncipe de los creyentes, Omar ben Abdelaziz, el año 100. Fué muerto en un combate contra los cristianos el año 103 h.

هو أمير الأندلس السمح ابن مالك الخولاني ثم الحياوي ولي الاندلس في عهد أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز سنة ١٠٠، قُتل في موقعة ضد الاسبان سنة ١٠٣ (يوم التروية)

السمح بن مالك
قُتِل سنة ١٠٣

Ismail ben Obaid-Allah

Es Ismail ben Obaid Alah liberto de Bani Majzum. Omar ben Abdelaziz, le confió el gobierno de Ifrikia el año 100. Era muy virtuoso y cuidaba con celo de los intereses de los musulmanes.

هو اسماعيل بن عبيد الله مولى بني مخزوم: ولاّه عمر بن عبد العزيز افريقيا عام ١٠٠ كان تقياً ورعاً حرصاً على مصالح المسلمين.

اسماعيل
ابن عبيد الله

obeikan.com

Abdel-Malek el Saadit
(983-986 h.)

Es Abú Meruán Abdelmalek ben Mohamed el Cheij. Se dirigió a Constantinopla y pidió al Sultán Murad III auxilio contra su sobrino, al cual combatió en la batalla del Rukn, cerca de Fez. Luego entró triunfalmente en la capital, en el año 983. Murió envenenado el año 986 en la célebre batalla de los tres reyes, librada en Uad Al Majasin, en las cercanías de Alcazarquivir. 1578.

هو ابو مروان عبد الملك
ابن محمد الشيخ، ذهب
الى الاستانة واستنجد
بالسلطان مراد الثالث
على ابن اخيه، فانتصر
عليه في موقعة الركن
قرب فاس ودخل العاصمة
منتصراً عام ٩٨٣، مات
مسموماً في موقعة وادي
المخازن المشهورة، (قرب
القصر الكبير) عام ٩٨٦هـ

عبد الملك
السعدي
٩٨٣—٩٨٦هـ
١٥٧٥ - ١٥٧٨م

El Sultán Solimán, el Legislador
(1520-1566)

Es el Sultán otomano Solimán, conocido por el Legislador. Era un administrador decidido. Reprimió con severidad la sublevación del Gazzali, jefe de las diputaciones de Siria, y lo mató en Cabon, cerca de Damasco, el año 1521 J. C. Subió al trono otomano el año 1520 y murió el año 1566.

هو السلطان العثماني
سليمان الملقب بالقانوني،
كان اداريا حازماً،
قمع بصرامة ثورة الغزالي
رئيس نيابة سورية وقتله
في قابون بالقرب من
دمشق عام ١٢٥١ م.
اعتلى العرش العثماني
عام ١٥٢٠م ومات عام ١٥٦٦

السلطان سليمان
القانوني
١٥٢٠ - ١٥٦٦م

Tarec ben Ziad

Es Tarec ben Ziad el Tanyi, el verdadero conquistador del Andalus. Penetró en este país el año 92 con los ejércitos del Magrib, pasando por el estrecho que lleva su nombre, y permaneció allí hasta su regreso a Siria con Musa ben Nosair, llamado por el príncipe de los creyentes, el Ualid ben Abdelmalek, el año 95.

طارق بن زياد

هو طارق بن زياد الطنجي الفاتح الحقيقي للاندلس غزاها بجيوش المغرب من المضيق المنسوب اليه سنة ٩٢ وبقي بها الى ان ذهب الى الشام مع موسى ابن نُصير بطلب من أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك سنة ٩٥

Tarif ben Malek

Es Abú Duraa Tarif ben Malek el Najai, liberto de Tarec ben Ziad y jefe de las secciones exploradoras marroquíes musulmanas que prepararon la entrada de los ejércitos conquistadores del Andalus. Tarif había penetrado en este país con sus hombres en el año 91, explorando el terreno y estudiando el estado de los habitantes. Desembarcó en la costa que lleva su nombre y, al regresar, informó a Tarec de lo que había visto en su expedición.

طريف بن مالك دخل الاندلس عام ٩١ هـ

هو ابو ذرعة طريف ابن مالك النخعي، مولى طارق ابن زياد وقائد فرق جنود الكشّافة المغاربة المسلمين الذين مهدوا السبيل لدخول جيوش الفتح، وكان طريفا قد دخل الاندلس مع رجاله سنة ٩١ فتجس ارضها ودرس احوال رجالها، ونزل الشاطي، المنسوب اليه، ثم رجع واخبر طارقاً بحقيقة الحال وبما شاهده من احوال الاندلس.

Musa ben Nozair
(Falleció 99 h. 717 C.)

Es Abú Abdelah Musa ben Nozair el Bakri, príncipe de Ifrikia y del Magreb, y generalísimo de los ejércitos de la conquista en el Occidente. El año 93 entró en el Andalus como conquistador y administrador. Volvió a Damasco el año 95, por orden del Ualid ben Abdelmalek. Falleció entre los años 97 y 99.

موسى بن نُصير (توفي عام ٩٩)

هو ابو عبد الله موسى ابن نُصير البكري أمير افريقيا والمغرب والقائد العام لجيوش الفتح في الغرب، دخل الاندلس فاتحاً ومنظماً سنة ٩٣ رجع الى دمشق بأمر الوليد بن عبد الملك سنة ٩٥، توفي بين = ٩٧—٩٩

Los tabiitas que entraron en el Andalus con Musa ben Nosair en el año 93

1.—Alí ben Er-Rabah El Lajmí. Falleció el año 144.
2.—Haiat ben Rayaa et-tamimi.
3.—Abdelah ben Yazid el Ausari el Huhali. Murió el año 100.
4.—Hanach ben Abdelah Es-Sanaoni. Murió el año 100.
5.—Abu Said Es-Sadafi.

التابعون الذين دخلوا الاندلس مع موسى بن نُصير عام ٩٣

١ علي بن الرَباح اللخمي مات ١١٤، ٢ حيوة بن رجاء التميمي ٣ عبد الله ابن يزيد الانصاري الحُبلي مات ١٠٠، ٤ حنش ابن عبد الله الصنعاني مات ١٠٠، ٥ ابو سعد الصدفي

Poeta y literato andaluz. Pasó su juventud en Egipto y luego se fué al Irak, donde se reunió con El-Asmaai y otros sabios del Oriente.

شاعر، اديب اندلسي، نشأ بمصر ورحل الى العراق فاجتمع بالاصمعي وبغيره من علماء الشرق

Abbas ben Nasih Ez-Zukafi

Aprovechó mucho de su compañía. Regresó luego al Andalus. Era buen literato e historiador y además conocedor de las artes de la poesía y los secretos del idioma árabe.

عباس بن ناصح الثقفي

فسمع منهم وأخذ عنهم، ثم رجع الى الاندلس، وكان من ثقات اهل الأدب والتاريخ عارفاً بفنون الشعر واسرار العربية

Abdelaziz ben Musa ben Nosair

(Asesinado el año 99 h.)

Su padre lo había nombrado sucesor suyo en el gobierno del Andalus, al abandonar este país el año 95 h. Abdelaziz estuvo en este puesto hasta que los soldados lo mataron en el año 99 h., por orden del príncipe de los creyentes *Soliman* ben Abdemalek.

عبد العزيز ابن موسى بن نُصير قُتِل عام ٩٩ هـ

كان والده قد استخلفه على الاندلس عند خروجه منها عام ٩٥، فبقي واليها الى ان قتله الجند عام ٩٩ هـ بأمر امير المؤمنين سليمان ابن عبد الملك

Los soberanos Omeya en Occidente desde Abderrahman I hasta Abderrahman III

(138-350 h. 756-961 J. C.)

Abderrahman I (756-788 J. C.) Hixem I (788-796 J. C.) Alhacam (796-822 J. C.) Abderrahman II (822-852 J. C.) Mohamed I (852-886 J. C.) Al-Mondhir (886-888 J. C.) Abdallah (888-912 J. C.) Abderrahman III (912-961 J. C.)

امراء بني أمية في الغرب من عبد الرحمان الداخل الى عبد الرحمان الناصر لدين الله ١٣٨—٣٥٠ هـ ٧٥٦ — ٩٦١

عبد الرحمان الداخل ١٣٨—١٧٢ هـ/هشام ١٧٢ ١٨٠ هـ الحكم ١٨٠—٢٠٦ هـ عبد الرحمان بن الحكم ٢٠٦— ٢٣٨ هـ، محمد ابن عبد الرحمان ٢٣٨—٢٧٣ هـ، المنذر بن محمد ٢٧٣— ٢٧٥ هـ، عبد الله بن محمد ٢٧٥—٣٠٠ هـ، أمير المؤمنين عبد الرحمان الناصر ٣٠٠—٣٥٠ هـ.

Los Jalifas Omeya en Oriente, desde Meruán I hasta Meruán II

(64-132 h. 685-750 J. C.)

خلفاء بني أمية في الشرق من مروان ابن الحكم الى مروان الاخير

٦٤ — ١٣٢

٦٨٥ — ٧٥٠

مروان بن الحكم ٦٤—٦٥ هـ، عبد الملك ابن مروان ٦٥—٨٦ هـ، الوليد بن عبد الملك ٨٦—٩٦ هـ، سليمان بن عبد الملك ٩٦—٩٩ هـ، عمر بن عبد العزيز ٩٩—١٠١ هـ، يزيد ابن عبد الملك ١٠١ — ١٠٥ هـ، هشام بن عبد الملك ١٠٥—١٢٥ هـ، الوليد ابن يزيد ١٢٥—١٢٦ هـ، يزيد بن الوليد ١٢٦ هـ، مروان الاخير ١٢٧—١٣٢ هـ.

Meruán I (684-685). Abd-el-Melik (685-705 J. C.) El-Walid I (705-715 J. C.) Soleiman (715-717 J. C.) Omar II (717-720 J. C.) Yezid II (720-724 J. C.) Hixem (724-743 J. C.) El-Walid II (743-744 J. C.) Yezid III (744). Meruán II (744-750 J. C.)

El Emir Mohauia de Omeya

(Muerto el año 132 h.)

الأمير معاوية الأموي الاخير قُتِلَ سنة ١٣٢

من الأمراء الأمويين قُتِلَ في ثورة العباسيين سنة ١٣٢ وهو والد عبد الرحمان الداخل الذي نجا من القتل وهرب الى الغرب واحيى السلالة الأموية في اسبانيا

Emir de la dinastía de Omeya. *Fué muerto en* la revolución de los abasidas, en el año 132 h. Es el padre de Abderrahmán I, *que se salvó* y huyó a Occidente, renovando la dinastía de Omeya en España.

obeikandl.com

Alí ben Abí Taleb

(Asesinado el año 40 h., 660 J. C.)

Es el príncipe de los creyentes Abu-l-Hasan Alí ben Abí Taleb, primo y yerno del Profeta. Cuarto de los Jalifas legítimos y el más elocuente orador musulmán y, al mismo tiempo, el más generoso, el más sabio y el más virtuoso. Fué asesinado en la mezquita del Cufa, mientras rezaba, el año 40 h.

علي بن ابي طالب قُتِل سنة ٤٠ هـ (٦٦٠)

هو أمير المؤمنين ابو الحسن علي بن ابي طالب ابن عم الرسول وزوج ابنته ورابع الخلفاء الراشدين وامام الخطباء من المسلمين على الاطلاق واكثرهم حلماً وعلماً وزهداً، قُتِل غيلةً بمسجد الكوفة وهو يصلّي سنة ٤٠ هـ

Omar ben Al-Jattab

(Asesinado el año 22 h., 644 J. C.)

Es el príncipe de los creyentes Abu Hafs Omar ben Al-Jattab el Corachit, el segundo de los Jalifas legítimos y el primero en llevar el título de príncipe de los creyentes. Omar fué el primero en utilizar la hégira como base de una nueva era; fué también el primer Jalifa en organizar las provincias y crear las administraciones. Fué asesinado por el bandido Abu Lulua, esclavo de Al-Maguira ben Chaaba, el año 23 h. Cuidaba con celo de los intereses de los musulmanes, y era de los más elocuentes y de los más juiciosos.

عُمر بن الخطّاب قُتِل سنة ٢٣ هـ (٦٤٤ م)

هو أمير المؤمنين ابو حفص عُمر بن الخطّاب القرشي ثاني الخلفاء الراشدين واوّل من تسمّى بأمير المؤمنين واوّل من أرّخ بالتاريخ الهجري ومصّر الامصار ودوّن الدواوين. قتله غيلةً الشقي ابو لؤلؤة عبد المغيرة بن شعبة سنة ٢٣ هـ. كان حريصاً جداً على مصالح المسلمين، ومن أبيَن الناس منطقاً واكثرهم صواباً وحكمةً.

Abdel-malek ben Habib

(Murió el año 237 h. 851-52 J. C.)

Es Abú Meruán Abdelmalek ben Habib ben Soliman Es-Salmi, natural de Olvera, pero residió en Córdoba. Era una autoridad en historia, al mismo tiempo que un buen literato, gramático, versificador, y gran conocedor de genealogía y de datos. Visitó Oriente y oyó a sus sabios, regresando luego al Andalus. Falleció el año 237 h.

عبد الملك ابن حبيب مات ٢٣٧ هـ

هو ابو مروان عبد الملك ابن حبيب بن سليمان السلمي من اهل إلبيرة غير انه سكن قرطبة، كان ثقة في التاريخ، اديباً نحوياً عروضياً حافظاً للاخبار والانساب رحل الى المشرق وسمع من علمائه ورجع الى الاندلس. مات سنة ٢٣٧ هـ

Maulay Ech-Cherif

(997-1069 h.)

Es el noble Ech-Cherif Abú-l-Amlak ben Alí Ben Mohamed Maulay Cherif el Hasanit, ascendiente de la dinastía que reina actualmente en Marruecos. Era Maulay Ech-Cherif muy considerado entre los marroquíes y estimado por todas las clases. A él se dirigían en las dificultades, y pedían su intercesión en las crisis.

مولاي الشريف ولد ٩٩٧ توفي ١٠٦٩ هـ

هو النبيل الشريف ابو الاملاك بن علي بن محمد مولاي الشريف الحسني جد العائلة النبيلة المالكة في المغرب اعزها الله، كان مولاي الشريف وجيهاً عند اهل المغرب محترماً مكرماً عند جميع طبقات الشعب يقصدونه في المعضلات ويستشفعون به في الازمات ويهرعون اليه في الملمات

Obeikandl.com

Maulay Ismail

Es ech-cherif alauita, el sultán victorioso Abu en-Nasr Maulay Ismail ben Maulay Ech-Cherif, el tercer soberano de la dinastía alauita en Marruecos. Era valiente y déspota, al mismo tiempo que justo. (Véase el prólogo del libro.)

هـو الشريف العلوي السلطان المظفّر ابو النصر مولاي اسماعيل ابـن مولاي الشريـف ثالث ملوك السلالة العلويّة في المغرب، كان شجاعاً بطّاشاً مستـبداً عادلاً، (انظر ترجمته في مقدمـة الكتاب)

مولاي اسماعيل

Maulay Mohamed ben Mihrez
(Muerto el año 1096 h.)

Es Abú-l-Abbas Ahmed ben Mihrez ben Maulay Ech-Cherif. Se sublevó en Marrakech contra su tío Maulay Ismail y se libraron entre los dos varias batallas. Fué muerto el año 1096 h.

هو ابو العباس احمد ابن محرز ابن مولاي الشريف، ثار في مـرّاكش على عمه مولاي اسماعيل، فوقعت بينهما حروب ومنازلات عديدة قُتِلَ سنة ١٠٩٦

مولاي محمد ابن محرز قُتِلَ ١٠٩٦

Es Abu Abdelah ben Maulay Abdelah ben Mohamed el Cheij. Fué aclamado como Sultán, después de la muerte de su padre, el año 981. Era severo y orgulloso; a pesar de ello, era un buen

هو ابو عبد الله ابن مولاي عبد الله بن محمد الشيخ، بُويع له بعد وفاة ابيه سنة ٩٨١، كان شديد العسف على الرعية، متكبراً، وكان مـع ذلك فقيهاً

obeikandl.com

Mohamed ben Maulay Abdelah, conocido por el Masluj

(Muerto el año 986 h.)

letrado y excelente poeta. Fidió a Don Sebastián, Rey de Portugal, ayuda contra su tío Maulay Abdelmalek. Murió ahogado en la batalla de los tres reyes, librada en Wadi-l-Mejazen, cerca de Alcazarquivir, el año 986 h. Después de su muerte, fué quitada su piel y llenada de paja, y por eso fué conocido por el apodo de Al-Masluj.

اديباً شاعراً مجيداً، استنجد بالضون سبستيان ملك البرتقال على عمه مولاي عبد الملك. مات غريقاً في موقعة وادي المخازن قرب القصر الكبير سنة ٩٨٦، وسُلِخ جلده بعد وفاته ومُلِيء تبناً، ويعرف عند العامة بالمسلوخ

محمد ابن مولاي عبد الله المعروف بالمسلوخ قُتِل ٩٨٦ هـ

Juan de Austria

(Murió en 1679)

Es Juan, hijo de Felipe IV y de María Calderón. Fué un general muy célebre, valiente y audaz. Se le atribuyen numerosas reformas y buenas obras que fueron realizadas en España. Murió el año 1679.

هو خوان بن فليب الرابع من ماريّا كلدرون، كان شجاعاً مقداماً وقائداً لامعاً، ينسب اليه كثير من الاصلاحات والاعمال الطيبة في المملكة الاسبانيّة مات سنه ١٦٧٩

خوان دي اوسطريا توفي ١٦٧٩

Juan «El Fraile»

(1495-1550)

El autor se refiere a San Juan de Dios, fundador de la Orden de los Hermanos de Caridad (1495-1550).

يقصد به المؤلف: القديس يوحنا دي ديوس مؤسس رهبانيّة اخوة المحبة ١٤٩٥—١٥٥٠

خوان (الفرايلي) الراهب ١٤٩٥ - ١٥٥٠

Juana, hija de Isabel

Fué conocida por «la Loca». Reina de Castilla, hija de Fernando y de Isabel, y madre de Carlos V. Fué proclamada Reina de Castilla el año 1504. Tuvo un ataque de locura a causa de la impresión que le causó la muerte de su marido, Felipe «el Hermoso», Archiduque de Austria.

خوانا ابنة ازابيل

تعرف بالحمقاء ملكة قشتالة، ابنة فرناندو وازابيل ووالدة كارلص الخامس، نودي بها ملكة على قشتالة سنة ١٥٠٤ اصابها مس من الجنون بسبب مصابها بوفاة زوجها فليب الجميل (ارموصو) ارشيدوق اوسطريا

Reyes de España de la Casa de Austria

Felipe «el Hermoso» (n. 1478, m. 1506). Carlos V (n. 1500, m. 1558). Felipe II (n. 1527, murió 1598). Felipe III (n. 1578, m. 1621). Felipe IV (nació 1605, m. 1665). Carlos II (n. 1661, m. 1700).

ملوك اسبانيا من سلالة اوسطريا

فليب ارموصو (الجميل)
ولد ١٤٧٨ مات ١٥٠٦
كارلوص كنطو (الخامس)
ولد ١٥٠٠ مات ١٥٥٨
فليب سكندو (الثاني)
ولد ١٥٢٧ مات ١٥٩٨
فليب طرسيرو (الثالث)
ولد ١٥٧٨ مات ١٦٢١
فليب كوارطو (الرابع)
ولد ١٦٠٥ مات ١٦٦٥
كارلوص سكندو (الثاني)
ولد ١٦٦٠ مات ١٧٠٠

obeikandl.com

El Duende (Fernando de Valenzuela)
(1692)

Fernando de Valenzuela, poeta y político español. Tenía gran prestigio al lado de la Reina Mariana de Austria, madre de Carlos II, y una influencia inmensa en la dirección de los asuntos del Estado. Estuvo en esta posición hasta que Juan de Austria lo encarceló en nombre del rey. Murió el año 16g2.

الدوندي
(فرناندو دي
فلنسويلا)
١٦٩٢

فرناندو دي فلنسويلا،
شاعر وسياسي اسباني
كان محظياً عند الملكة
ماريانا دي اوسطريا والدة
كارلوص الثاني وكان
صاحب الكلمة النافذة في
مصير شؤون المملكة الى
ان ابعده وسجنه النمون
خوان دي اوسطريا باسم
الملك، مات ١٦٩٢
وقد ذُكِرَ خطأً
في المتن بانه الاب نيطارد
اليسوعي.

El Delfín

Título que ostentaban los primogénitos de los Reyes de Francia. Se refiere el autor a Luis, hijo de Luis XIV y padre del Duque de Anjou, que subió al trono de España después de la Guerra de Sucesión, con el nombre de Felipe V.

الدافين

هو لقب يطلق على الولد
البكر من اولاد ملوك
فرنسا، وهنا هو لويس
ولد لويس الرابع عشر
ووالد فليب دي انجو
الذي اعتلى عرش اسبانيا
بعد حرب الميراث وأخذ
اسم فليب الخامس

Fernando el Católico

(1452-1516)

Fernando V, conocido por el Católico, Rey de Castilla, Aragón, Sicilia y Nápoles. Se casó con Isabel I de Castilla y reunió en su poder el reino de su esposa y los demás reinos españoles, completando así *la unión nacional española.* Se apoderó de Málaga, Granada y de las demás regiones que quedaban en manos de los árabes.

Reprimió con severidad la revolución catalana y puso fin a todas las guerras civiles. El Tribunal de la Inquisición fué fundado por él.

Era Fernando un jefe audaz y valiente, administrador excelente y diplomático fino. Bajo su reinado fué descubierto el Nuevo Mundo, aumentando con ello la riqueza *material y moral de España,* empezando su siglo de oro.

هو فرناندو الخامس
ويعرف بالكاثوليكي
ملك قشتالة واراغون
وسيسيلية ونابولي، تزوج
من الملكة ازابيل الاولى
القشتالية وضم اليه مملكتها
وبقية الممالك الاسبانية
المتفرقة، فتم بذلك الاتحاد
الاسباني الوطني، استولى
على مالقه وغرناطة وعلى
بقية البلاد التي كانت بيد
المسلمين، اخمد بصرامة
ثورة القتالونيين وقضى على
جميع الحروب الاهلية
وأسس ديوان التفتيش
المشهور. كان حازماً
شجاعاً منظماً ادارياً
سياسياً محنكاً. في عهده
أكتشفت القارة الجديدة
فازدهرت اسبانيا وكثرت
ثروتها المادية والادبية
فابتدأ يسطع مجدها
السامي وعظمتها الخالدة

فرناندو
لاكطوليكو
(الكاثوليكي)
١٤٥٦ - ١٥١٦

Isabel
la Católica
(1451-1504)

Isabel I, hija de Juan II y esposa de Fernando V el Católico. Colaboró con su marido en todas sus conquistas y todas sus obras. Se le debe el mayor mérito en el descubrimiento del Nuevo Mundo. Estimuló a Colón y lo ayudó en sus expediciones y descubrimientos, ofreciéndole el dinero y la gente necesarios para la realización de sus anhelos.

ازابيل
لاكطوليكا
(الكاثوليكية)
١٤٥١ - ١٥٠٤

هي ازابيل الاولى ابنة خوان الثاني وزوجة فرناندو الخامس كانت ساعدزوجها الأيمن بكل فتوحاته واعماله العظيمة، يرجع اليها الفضل الاكبر في اكتشاف العالم الجديد. شجعت كولمبس وساعدته في مغامراته واكتشافاته وامدته بالرجال والمال، لتحقيق امانيه واحلامه. فكان العالم الجديد، وكانت عظمة اسبانيا ومدنيتها السامية.

Sebastián
(Don)
(1554-1578)

Rey de Portugal y sobrino de Felipe II, Rey de España. Ayudó a Maulay Mohamed ben Abdelah «El Masluj» para recuperar el trono de manos de su tío Maulay Abdelmalek el Saadit. Condujo los ejércitos aliados para la lucha contra los marroquíes y los turcos venidos

سبستيان
(الضون)
ملك البرتغال
١٥٥٤ - ١٥٧٨

الضون سبستيان ملك البرتغال وابن اخت فليب الثاني ملك اسبانيا، ساعد مولاي محمد بن عبد الله (المسلوخ) لاسترجاع ملكه من عمه مولاي عبد الملك السعدي، قاد الجيوش المتحالفة لمحاربة المغاربة والاتراك

	en ayuda de Maulay Abdelmalek en la célebre batalla de los tres reyes. Don Sebastián fué muerto, así como Maulay Mohamed, en aquella batalla, en el año 1578 (986 h.)	المنتصرة لمولاي عبد الملك السعدي في موقعة وادي المخازن الشهيرة، قُتِلَ ومتصرخه مولاي محمد في تلك الموقعة سنة ١٥٧٨
Lorenzo «El Fraile» *(460-520)*	Santo y mártir español. Fué obispo y era muy virtuoso. Fué muerto alrededor del año 520 de C.	من القديسين والشهداء المسيحيين الاسبان كان اسقفاً فاضلاً، تقياً صالحاً، قُتِلَ حوالى سنة ٥٢٠ م
لورنصو (الراهب) ٤٦٠ — ٥٢٠		
Julián	El Conde Don Julián, gobernador de la ciudad de Ceuta en tiempo de la conquista árabe. Es muy conocido. Fué él quien facilitó la entrada de los árabes en España y les entregó Ceuta, por vengarse del Rey Don Rodrigo, el año 91 h.	هو الكندي خوليان حاكم مدينة سبتة عند الفتح العربي، والمشهور انه هو الذي مهد دخول العرب الى اسبانيا وسلّم اليهم سبتة انتقاماً من الملك لذريق سنة ٩١ هـ
يوليان		
Nabucodonosor II *(605-562 a. de J. C.)*	Rey de Babilonia y de Nínive. En el año 586 a. de J. C. atacó a Jerusalén, la quemó y llevó cautivos a Babilonia a los descendientes de Juda.	ملك اشوري اغار على اورشليم فاحرقها وجلا أهل يهوذا الى بابل سنة ٥٨٦ قم
نبوكدنصر (الثاني)		

فهرس وتراجم

أعلام المقدمة

INDICE BIOGRAFICO

de los personajes citados en el prólogo

Pérès (Henri)

بيرس (هنري)

مستعرب فرنسي، أديب بحّاثة، أستاذ الآداب العربيّة في جامعة الجزائر، له مؤلفات وابحاث قيمة، نَشرَ مؤخراً في باريس (سنة ١٩٣٧) تأليفه المعنون: «اسبانيا بنظر الرحالة المسلمين من سنة ١٦١٠ الى سنة ١٩٣٠ م.»

Arabista francés, literato e investigador. Desempeña la cátedra de Literatura Arabe en la Universidad de Argel. Escribió varias obras y estudios importantes. Publicó últimamente en París (año 1937) su obra titulada «España vista por los viajeros musulmanes desde el año 1610 hasta 1930 de C.»

مستشرق مشهور وبحّاثة معروف، أخذ العربيّة عن ابيه المستشرق جوزف درنبورغ ففاقه ونشر كثيراً من آثار العرب ككتاب سيبويه مع

Célebre orientalista y conocido investigador. Aprendió el árabe de su padre, el orientalista José Derenbourg, sobrepasándolo. Publicó numerosas obras árabes antiguas, como el libro «El Qui-

obeikandi.com

Derenbourg (Hertwig)
(1844-1908)

درنبورغ (هرتويك)
١٨٤٤ - ١٩٠٨

ترجمته الى الفرنسية وترجم الى لغته ايضاً أسامة ابن منقذ، وجدد طبع تاريخ الطقطقي المعروف بالفخري ونشر عام ١٩٠٤ نقده وملاحظاته على مخطوطات مكتبة مدريد العربيّة. توفي سنة ١٩٠٨ وعمره ٦٤ سنة. وكان عضواً شرفياً في المجمع العلمي التاريخي الاسباني في مدريد.

tab» de Sibawayh, con su traducción al francés. Tradujo también a este idioma «Usama ben Munquid»; hizo una nueva edición de la historia del Tactagui, conocido por el Fajri. En el año 1904 publicó su crítica y observaciones sobre los manuscritos de la Biblioteca árabe de Madrid. Murió el año 1908, teniendo 64 años. Era *miembro honorario* de la Real Academia de Historia de Madrid.

هو ابو العباس احمد ابن المهدي بن عيسى الغزّال الفاسي الاندلسي. كاتب اسرار السلطان مولاي محمد بن عبد الله وسفيره الى كارلص الثالث ملك اسبانيا ١٧٦٥—١٧٦٦ م لدرس وتوقيع معاهدات صلح وافتكاك ما بقي من اسارى المسلمين. فقام برسالته خير قيام، وكتب

Es Abú-l-Abbas Ahmed ben El-Mehdi ben Isa el Gazzal el Fasi el Andalusi, secretario del Sultán Maulay Mohamed ben Abdelah y su embajador cerca de Carlos III, Rey de España, en el año 1765-1766.
El objeto de esta embajada fué la conclusión de un tratado y la liberación de los cautivos musulmanes. Cumplió su misión de buena manera y relató su viaje en una obra titu-

El Gazzal (Mohamed ben El-Mehdi)

(Fallecido 1191 h.)

lada *Natiyatu-l-Iytihad fil Muhaôana ual Yihad.* (Resultado del esfuerzo para la paz y la guerra santa.) Pero esta obra está más conocida por el nombre de *La Embajada Española*, como ya indicamos en el prólogo. Es una obra histórica interesante, conteniendo numerosos asuntos y acontecimientos históricos, importantes descripciones, comentarios y observaciones finas. El INSTITUTO GENERAL FRANCO se ocupa actualmente de su revisión, edición y publicación.

الغزّال
(محمد ابن
المهدي)
توفي ١١٩١

رحلته تحت عنوان: «نتيجة
الاجتهاد في المهادنة
والجهاد» وتعرف رحلته
ايضاً «بالرحلة الاسبانية»
كما سبقنا بتعريفها بالمقدمة
وهذه الرحلة من الآثار
التاريخية النفيسة، فيها
كثير من القضايا
والاحداث التاريخية الهامة
والاوصاف والشروح
والملاحظات الدقيقة.
وتقوم الان «مؤسسة الجنرال
فرنكو» بتنقيحها وضبطها
ونشرها

Escritor y literato español. Investigador e historiador africanista; conocedor de los problemas y antigüedades marroquíes. Es autor de importantes obras y de numerosos estudios y artículos en revistas y periódicos españoles, lo cual es una clara prueba y digno testimonio de su vasta cultura y de su profundo cono-

كاتب واديب اسباني،
بحّاثة ومؤرخ افريقي، عالم
بالشؤون والعاديات المغربية
له مؤلفات جليلة، وابحاث
ومقالات في المجلات
والصحف الاسبانية تشهد
له بثقافة عالية ومقدرة
وطول باع في العلوم
والشؤون المغربيّة. كان

García Figueras (Tomás)

cimiento de las ciencias y problemas marroquíes. Su libro «*Marruecos*», publicado recientemente, constituye un rotundo éxito y tiene gran eco en el mundo histórico, siendo recibido con gran entusiasmo y admiración en todos los círculos intelectuales.

Desempeña actualmente el cargo de Secretario General de la Alta Comisaría de España en Marruecos y, a pesar de sus trabajos políticos y administrativos, no cesa de investigar, escribir y publicar, con un ánimo infatigable.

En consideración a sus notables servicios intelectuales, fué nombrado Director del INSTITUTO GENERAL FRANCO PARA LA INVESTIGACION HISPANO-ARABE. Se pudo demostrar su gran capacidad, por lo que realizó esta institución científica, en investigación, traducción y publicaciones, bajo su consigna: «*Hemos hecho y no hemos hablado.*»

غرسيا فيغيراس (توماس)

لكتابه الاخير (المغرب (Marruecos) شأن عظيم في الميدان التاريخي، فتلقته الاندية الثقافية بكثير من التقدير والتقريظ. وهو يشغل اليوم وظيفة نائب عام المفوضيّة السامية الاسبانية في المغرب.

فمع كثرة اشغاله السياسيّة والادارية لا ينثني عن التأليف والبحث، فينشيء ويكتب ويؤلف وينشر بعزيمة لا تعرف الكلل.

وتقديراً لخدماته الثقافية الجليلة قلد منصب مديرية «مؤسسة الجنرال فرنكو» للتأليف والنشر والابحاث العربية الاسبانيّة فظهرت مقدرته الفائقة بما قامت به هذه المؤسسة العلميّة من تآليف وابحاث وترجمة ونشر تحت رمز شعارها: «عملنا ولم نتكلم»

Sanoaire (Henri)
(Muerto 1896 J. C.)

Arabista francés. Fué cónsul de Francia en Beyreuth, donde entró en relaciones con intelectuales árabes, aprendiendo mucho de ellos. Dejó numerosas obras orientales, entre las cuales figura un libro que trata de las medidas y pesos árabes. Publicó el libro «*Uyun al-tauarij*», de Mohamed ben Chaker; escribió una historia de las escuelas de Damasco, y tradujo al francés la historia de Jerusalem, Eljadil, el Viaje del Embajador Marroquí, y otras obras.

Frecuentaba España para consultar los libros de la Biblioteca Nacional de Madrid y la del Escorial.

سوفير
(هنري)
توفي ١٨٩٦

مستعرب فرنسي كان قنصلاً لدولته في بيروت فاجتمع بادبائها وأخذ عنهم، له تآليف شرقية جليلة منها كتاب في المقاييس والموازين العربية وكتاب عيون التواريخ لمحمد بن شاكر، ونشر تاريخ مدارس دمشق ونقل الى لغته تاريخ القدس والخليل ورحلة السفير المغربي، وغير ذلك من الاعمال الثقافية الهامة. كان يتردد كثيراً الى اسبانيا بقصد المراجعة والاستفادة من مكتبة مدريد الاهلية ومن مكتبة الاسكريال الشهيرة.

Alejandro (Papa)

Alejandro VIII, Papa veneciano (1689-1691).

اسكندر
(البابا)
توفي ١٦٩١

هو البابا اسكندر الثامن من البندقية اعتلى السدة البطرسية سنة ١٦٨٩ توفي ١٦٩١

Inocencio (Papa)

Inocencio XII, el napolitano. Papa, (1691-1700).

هو البابا انوسنسيوس الثاني عشر النابولي انتخب رأساً للكنيسة الكاثوليكية سنة ١٦٩١ توفي ١٧٠٠

انوسنسيوس (البابا) توفي ١٧٠٠

El-Cadiri (Mohamed ben Et-Tayyeb) (1144-1178)

Es Mohamed ben Et-Tayyeb el Cadiri. Era muy virtuoso y fué gran literato e historiador, de cultura amplia, sabio y sufita célebre. Dejó importantes obras, entre las cuales figura una historia de Marruecos llamada *Nachrul-Mazani.*

هو محمد بن الطيب الحسني القادري كان جليلاً فاضلاً اديباً مؤرخاً واسع الاطلاع عالماً تقياً صوفياً مشهوراً له مؤلفات جليلة منها: نشر المثاني (في تاريخ المغرب)

القادري (محمد ابن الطيّب) — ١١٤٤ — ١١٧٨ هـ

Carlos III (1716-1788)

Carlos, hijo de Felipe V, de la dinastía Borbón. Era buen administrador y conocedor de los problemas comerciales y económicos. Mejoró las relaciones comerciales con América y las colonias españolas y elevó en su país la industria, la cultura y las bellas artes. Supo tener a su país en la neutralidad durante la guerra entre Francia e Inglaterra, el año 1787.

كارلص بن فليب الخامس من السلالة البربونية، كان اداريا عالماً بالشؤون التجارية عزّز التجارة مع اميركا والمستعمرات الاسبانية كما عزز في بلاده الصناعة والثقافة والفنون الجميلة، وحفظ بدقة وسياسة حياد اسبانيا في حرب فرنسا وانكلترا سنة ١٧٨٧ م

كارلص الثالث ١٧١٦ - ١٧٨٨

El Kettani (Mohamed ben Yaafar)
(Murió el año 1345 h.)

Mohamed ben Yaafar el Hosaini el Idrisi. Notable y sabio de Fez. Tenía un conocimiento profundo del Hadíz y era además buen literato, historiador y hombre virtuoso. Viajó en Oriente y vivió algún tiempo en Damasco. Volvió a Marruecos un año antes de su muerte. Dejó numerosas obras, entre las que figura *Saluat-ul-Anfas*.

الكتاني
محمد بن جعفر
توفي سنة ١٣٤٥
١٩٢٦ — ٢٧ م

محمد بن جعفر الحسني
الادريسي من عيون علماء
فاس وسراتها الامجاد،
كان متضلعاً من علم
الحديث بصيراً بمعانيه،
وكان اديباً مؤرخاً فاضلاً
جليلاً، ذهب الى الشرق
وسكن دمشق الشام،
رجع الى المغرب قبل وفاته
بسنة، له تآليف قيمة منها:
«سلوة الانفاس»

Gayangos (Pascual) y Arce
(1809-1897)

Arabista y sabio español de gran celebridad. Nació en Sevilla el año 1809 y marchó a Londres, donde escribió varias obras, entre las cuales figura una histórica de los reinados islámicos en España, una traducción en dos tomos grandes de la historia de Al-Maccarri (Nefh At-Tib) y la descripción de los manuscritos de la Alhambra y de sus inscripciones. Publicó, además, varios artículos y estu-

كيانكوس
(بسكوال)
١٨٠٩ - ١٨٩٧

مستعرب وعالم اسباني
له شهرة واسعة، ولد في
اشبيلية سنة ١٨٠٩ قدم
لندن وصنّف فيها تآليف
مختلفة اشتهر منها تاريخه
للدول الاسلامية في اسبانيا،
وترجمته لتاريخ المقري
(نفح الطيب) في مجلدين
ضخمين ووصف آثار
الحمراء وكتاباتها، ونشر
ايضا عدة مقالات وابحاث

obeikandl.com

dios interesantes sobre asuntos árabes. Era muy aficionado a coleccionar manuscritos árabes. Murió en Londres el año 1897.

قيّمة في مواضيع عربية، كان مولعاً بجمع المخطوطات العربيّة. توفي في لندن سنة ١٨٩٧

Boscá Mata (Miguel)

بوسكا ماتا (ميشال)

Editor, dueño de la imprenta «Artes Gráficas», de Larache (Marruecos). Son muy celebradas sus impresiones por la limpieza y la excelencia del trabajo. Ultimamente ha adquirido gran fama, habiéndose dedicado a editar las obras árabes que publica el INSTITUTO GENERAL FRANCO PARA LA INVESTIGACION HISPANO-ARABE.

طبّاع فنّان، صاحب مطابع الفنون المصورة في العرائش (المغرب) عرفت مطابعه بالنظافة والاتقان واشتهرت مؤخراً بطبع المؤلفات العربيّة التي نشرتها مؤسسة الجنرال فرنكو للابحاث العربيّة — الاسبانية

Maulay Mohamed ben Abdelah

(Falleció en el año 1204)

مولاي محمد (ابن عبد الله) توفي عام ١٢٠٤

Es el quinto rey de la dinastía alauita. Fué proclamado sultán después de la muerte de su padre. Hubo unanimidad en proclamarlo. Reglamentó las administraciones y los impuestos, y estableció los derechos de aduanas. Vino a Gomara, donde mató a Abu Es-Sujur el Jamsi. Se fué luego a Tetuán en el año 1173 h. y construyó la fortaleza de Martel (Martín). Sostuvo correspondencia con

هو الخامس من السلالة العلويّة الشريفة، بويع بعد وفاة والده ولم يتوقف في بيعته احد، مصّر الامصار المغربيّة ونظّم الضرائب ووضع المكوس. اتى الى غمارة فقتل ابا الصخور الخمسي، ثم جاء تطوان عام ١١٧٧ هـ وبنى برج مرتيل، كان يراسل ملوك

اسبانيا بشأن عقد معاهدات سياسية وافتكاك الاسارى المسلمين. انقذ الجديدة من البرتغال سنة ١١٨٢ هـ ضرب الحصار على مليلية ثم رجع عنها سنة ١١٨٤ توفي سنة ١٢٠٤ ودفن برباط الفتح، ضريحه مشهور

los Reyes de España, con el objeto de concluir tratados políticos y liberar a los cautivos musulmanes. Liberó El-Yadida de las manos de los portugueses en el año 1182 h. En el año 1184 h. cercó a Melilla, teniendo que levantar el sitio sin ningún resultado. Murió el año 1204 en Rabat, siendo su tumba muy célebre.

هنريكس الثامن ١٥٠٩ — ١٥٤٧

ملك انكلترا، انفصل عن الكنيسة الكاثوليكية وأسس المذهب الانكليكاني، كان عالما مثقفاً عزز الآداب والفنون في مملكته غير انه كان سفاحاً فجوراً، تزوج من ست نساء.

Enrique VIII
(1509-1547)

Rey de Inglaterra. Se separó de la iglesia católica y fundó el anglicanismo. Era sabio y culto; elevó el nivel cultural en su país y procuró la prosperidad de las letras y las bellas artes. Pero era sanguinario y vicioso, habiéndose casado seis veces.

obeikandl.com